سيرة وترجمة الإمام السيد أحمد الرفاعي مؤسس الطريقة الرفاعية

الفهرس

مقدمة
كلمة السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي
كلمة السيد مصطفى الرفاعي الندوي
وظائفه الدينية في حياته الشريفة: شعار أولياء الله
اشتغالـه بالعلـوم : التحصيل والتدريس :
انشغاله بالعلوم :تبحره العلمي :
اشتغالـه بالعلـوم :نصيحته للسالكين والمتلقين بطلب العلم :
اشتغالـه بالعلـوم :اشتغاله بالتصنيف :
اشتغالـه بالعلـوم :مؤلفاتـه القيمـة:
اشتغالـه بالعلـوم :العالم الرباني :
اشتغالـه بتزكيـة النفـوس: التربيـة :
اشتغالـه بتزكيـة النفـوس : تهافت الناس عليه للبيعة والاسترشاد :
اشتغالـه بتزكيـة النفـوس :صفة تلاميذه الخلفاء :
اشتغالـه بتزكيـة النفـوس :خدمته للمساكين :
اشتغالـه بتزكيـة النفـوس :عنايته بالملوك والسلاطين :
طريقته الرفاعية :
اشتغاله بالمواعظ والخطب
صفـة خطابتـه :
خطبـه مؤثـرة بليغـة :
مجلس المذاكرة :
اشتغاله بالذكر والعبادة: شغفه بالعبادة :
قرضه الشعر
أخلاقة وعاداته: " التواضع "
خدمته للخلق: الخادم المشفق :
شفقته علي الحيوانات :
التحمل والتسامح:تحمله الأذي وعفوه عمن ظلمه :
مدحه لمعاصريه:
زهده وقناعته: الزاهد الحقيقي :
أفكاره وخواطره من خلال مواعظه القيمة
الظروف والملابسات التي عاشها :
وصية سيدنا الرفاعي :
أحاديثه في المجالس :
شهادة رجال العلم والبصيرة بفضله وكماله
حياته ونبذة عن خلفائه من أهل بيته
صفاته الخلقية المباركة وعاداته :
حجه المبرور :
زواجه الشريف :
وفاته رضي الله عنه :
كراماته الجليلة في حياته الكريمة

مقدمة

الإمــام السيـد أحـمد الرفاعـي
مؤسس الطريقة الرفاعيـة

نسبه ـ نشأته ـ دعوته ـ كراماته وآثاره

تأليـــف:

السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي
حفيد الإمام وخادم الطريقة الرفاعية في الكويت وما جاورها

السيد مصطفى الرفاعي الندوي
من علماء الهند وشيوخ الطريقة

المقدمة:
بســم اللــه الرحمــن الرحيــم

الحمد لله وكفي ، " وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى"

[من سورة النمل , الآية / 95] .

أما بعد ، فإن السيد أحمد الكبير الرفاعي من خبره العلماء الربانيين ، والشيوخ الكبار في الأمة المسلمة . أمة محمد ﷺ ، ومن تلك النفوس الطاهرة المؤمنة ، التي كتب الله لها القبول العام ، والإقبال التام ، والتي تعدي صيتها عصرها ومصرها إلي أبعد المساحات الزمانية ، والمسافات المكانية ..

وربما لم ينل أي شيخ أو مرب ـ بعد سيدنا عبد القادر الجيلاني ـ هذا الإعجاب الكبير ، والقبول الواسع ، الذي حازه السيد الرفاعي .

ولا تزال طريقته حيه ، وهي تحل في البلاد العربية / المحل الذي تحله الطريقة الجشتيه عندنا ، في شبه القارة الهندية وما يجاورها من البلاد .

والرفاعي ـ رحمه الله ـ يحتل المكانة السامية بالنسبة إلي ظهور الكرامات وخوارق العادات منه ، وبالنسبة إلي الإقبال الكبير عليه ، وحسن القبول والتقدير والإعجاب فيما بين عباد الله أيضاً . وهو في كل ذلك نظير الشيخ سيدنا عبد القادر الجيلاني .

إلا أن هذا الإقبال الكبير والإعجاب الزائد ، ربما شكل في التاريخ الإسلامي قصصاً وروايات ، فيها كثير من المبالغات ، لا تستند إلي دليل ولا تقوم علي أساس ، نحلها المغالون من المعجبين ، والكتاب والمؤلفون ، الذين يكيلون المدح جزافاً ، ولا يحسنون التحري والإمعان والدقة ، مما تراكم به الغبار الكثيف علي جمال مآثره وأعماله ، وشوه وجه فضله وكماله ..

وكأن ذلك ضريبة الشهرة الواسعة التي تلازمه ، وتحيط به ولا تنفك عنه .

فخذ أحداً من هؤلاء الشيوخ وأئمة التزكية والتربية والإحسان , واقرأ ترجمته ، تشعر ـ كما يقول أحد المؤرخين :- " إنه كان لا يأكل ولا يشرب ، وما به حاجة إلي اللوازم البشرية ، لم يكن له رغبه ما في

التعليم والتدريس ، أو التصنيف والتأليف ، متشبع بروح الإصلاح والتبليغ ، وهو يتجرد عن الشعور بخدمه الخلق والعباد .

أما نقض قوانين القضاء والقدر ومخالفة السنن الطبيعية ، والتصرف في العناصر الأربعة ، فهو شغله الشاغل ، وعمله الحبيب الأثير ، وكأنه معاند لمبرمات القضاء والقدر ، فهو دائماً يعارضها ويعدل فيها ، ويريد أن يتصرف في عالم التكوين " .

وقد حدث هذا [قلت : أي الظلم من بعض المعجبين المغالين فيه ، فظلموه إذ قالوا عنه ما لم يقله ، ونسبوا إليه ما لم يثبت عنه ، مع أنه كان أشد الناس أدباً مع الله ورسوله , وخصوصاً إذ كان الأمر في أمر القضاء والقدر ، ومن تتبع سيرته ، وقرأ ترجمته : يجد ذلك ظاهراً من خلال كلماته التي أثرت عنه ، وكتابه هو " البرهان " أيضاً ، الذي أودع فيه ما يعجز الشراح عن الوصول إلى مراميه ودقائقه ، فافهم ذلك.] مع السيد احمد الرفاعي رحمه الله أيضاً ، بل وربما وقع عليه في هذا الباب [قلت : أي باب الغلو والتفريط ، ونسبة ما لم يصح عنه إليه] من الظلم ما لم يقع على القليل النادر من الشيوخ .

فالرجل الذي كان جوهر حياته هضم النفس ، والتواضع ، ومخالفة الهوى ، وحسن الظن بالخلق ، والتماس العذر للإخوان ، والاعتذار عن الأصدقاء ، والمسامحة مع الأعداء ، والعطف على خلق الله ، ومواساة الناس على اختلاف النظريات والأديان ، واحترام الإنسانية وجبر القلوب المنكسرة ، وتسلية النفوس المتفجعة ، غطيت حياته بستار غليظ من الخوارق والكرامات ، والكشوف والتصرفات ، حتى أصبح وجهه مختفياً على المعجبين أنفسهم ، وأضحت تجلية ملامح حياته الحقيقة شيئاً مستحيلاً .

وقد أدخلت في القرون الأخيرة في طريقته ترهات وخرافات وشعوذات ، صارت هي من أجلها رمزاً للعجائب ، كالطريقتين : البهلوانية ، والشطارية في الهند ، الأمر الذي أضطر الغيارى على الدين وأنصار الشريعة الإسلامية المخلصين في عصرهم إلى أن يحتجوا على تلك الأباطيل والأضاليل ، التي لم تكن إلا وليدة خطأ المغالين ، أو المرتزقة من المنتمين إلى هذه الطريقة .

دخلت الطريقة الرفاعية في الهند منذ قديم الزمان ، منذ أن قامت الصلة بين الهند والعرب .

وبدأ اختلاف شيوخ العرب إلى الهند ن وتعرفت بها ، وأقبلت عليها أولاً كجرات ، والهند الجنوبية ، فتأسست بها زوايا رفاعية في مواطن شتى ، أمها الناس من أنحاء البلاد واشتهرت كثيراً ، وكان الإقبال عليها كبيراً من أجل انتمائها إلى السيد الرفاعي رحمه الله .

وهنا جعل الجهلة يعتقدون فيه على طريقة مشروعة وغير مشروعة .

وظهرت تقاليد وأعراف لا تبيحها الشريعة الإسلامية في حال من الأحوال ، وقد وضعت في اللغة العربية عشرات الكتب الصغيرة منها والكبيرة عن حياته وفضله وكماله .

ولا تزال التراجم المعتبرة تذكر له أحوالاً ذات تأثير عميق ، تبعث الإيمان والحنان ، وتقوي روح العمل ، وتغذي القلب . فيها دليل واضح على علو منزلته وجلالة قدر ورجاحته لدى الله ، وقوة صلته بالله .

وتقدم نماذج لمحاسن الأوصاف ومكارم الأخلاق ، سيتأثر بها غير المسلمين حينما يطلعون عليها فضلاً عن المسلمين ، ولا سيما بحبه للإنسانية ، ومواساته للخلق ، وصفة إيثاره وانكساره .

وكانت الحاجة ماسة إلى وضع كتاب يقدم تعاليمه وشخصيته صحيحة ، نقية صافية على حقيقتها ، ويجلي الغبار المتراكم على لجينه الصافي إلى حد مستطاع .

ولم يكن تأليف مثل هذا الكتاب خدمة قيمة للطريقة الرفاعية فحسب ، بل للإسلام والمسلين أيضاً ، حيث إن في أحواله مادة كبيرة ، ودرساً عظيماً للناشدين الحق والصواب ، والداعين إلى العطف على الإنسانية والبر بالخلائق من غير المسلمين .

والحمد لله على أنه وفق للقيام بذلك الأخ العزيز الأستاذ السيد مصطفى الرفاعي الندوي / بجدارة .

فقد ظلت أسرته منذ قديم حاملة لواء هذه الطريقة ، ومحط أنظار ، وموضع إقبال وإكرام في ولاية كرناتكا في الهند .

وورث حب هذه الطريقة من أسلافه البررة ، إلى جانب ما زوده به أساتذته الذين تخرج عليهم ، ومدرسته التي تعلم فيها وشيخه [وهو الشيخ الكبير العلامة المحدث محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي ، دفين المدينة المنورة] الذي تلقى منه التربية الروحية ، والتزكية النفسية ، من الاعتدال والاتزان في الأفكار والاتجاهات ، واحترام الشريعة الإسلامية وإيثارها على كل غال ورخيص في الحياة ، واعتبار الكتاب والسنة مقياس الحق والصدق ، واتباع السنة النبوية ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ مناط الحظوة والوجاهة لدى الله .

بكل ذلك أكسبه الاستعداد للكتابة في مثل هذا الموضوع ، ووضع هذا الكتاب .

ولا نقول إن الكتاب يخلو كلياً من الإفراط والتفريط ، والمبالغة التي يأتي بها الحب المفرط والإعجاب الشديد ، ولكنه يتسم إلى حد كبير بالاعتدال والاحتياط ، الذي يزيد قيم ، ويدعو إلى تقدير وإلقاء نظرة على التراجم الأخرى ، التي يصعب الاستمرار في قراءتها اليوم على أولي العقيدة الصحيحة من المتبعين للكتاب والسنة .

ولم أستطع ـ بحكم ضعف بصري ـ أن أستوعب الكتاب قراءة ، ولكني ألقيت عليه نظرة دلتني على إخلاص المؤلف وجهوده .

وأرجو أن الكتاب سوف يمر بمراحل التنقيح والتهذيب في الطبعات الآتية ، مما يزيد من قيمة الكتاب .

وقد طبعت منذ عدة سنوات كتب ومؤلفات عديدة ـ مخطوطة نادرة وحديثة ـ تتحدث عن الطريقة الرفاعية والسيد الرفاعي ، وذلك بفضل جهود صديقنا المحترم معالي السيد يوسف هاشم الرفاعي ، وزير الدولة سابقاً في دولة الكويت .

واستطاع مؤلف هذا الكتاب أن يستفيد بهذه الكتب والتراجم ، وأن يقدم عصارتها في كتابه .

وأرجو أن الكتاب سيكون وسيلة قوية في إثارة العواطف الإيمانية ، وتقوية القلب ، وتجديد العهد ، وتشجيع قوة العمل في المجتمع الإسلامي عامة ، وفي المنتمين إلى الطريقة الرفاعية خاص .

وأدعو لله أن يكون الكتاب نافعاً للقراء وذخراً للمؤلف .

أبو الحسن علي الندوي

9 ربيع الآخر ، 1398 هـ

19 مارس 1978 م ، يوم الجمعة

دائرة الشيخ علم الله الحسني راني بريلي ، الهند

العودة الى فهرس المحتويات

كلمة السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي

بســـم اللـــه الرحمـن الرحيـــم
الحمد لله ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله ونبيه وحبيبه سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه البررة ومن والاه .

وأستمطر رضوانه تعالى ورحماته على عبده المتواضع الساجد الراكع جدنا الإمام السيد أحمد الرفاعي الحسيني ، المولود سنة (512هـ) ، والمتوفي سنة (578 هـ) في أم عبيدة بواسط العراق ، مؤسس الطريقة الرفاعية العلية ، على أسس ومنهج جده المصطفى نبي الرحمة ، ورحمة الله للأمة ، محمد رسول الله ، عليه وآله أفضل صلوات الله وتسليمات ورحمات الله تعالى .

أما بعد ، فلقد كان السيد أحمد ـ كما سيبين من مطالعة ترجمته في هذا الكتاب ـ محباً صادقاً ومتبعاً أميناً لسيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام .

حيث تناقلت الناس في مختلف البلاد الأصقاع والأزمان :البيتين التاليين ، اللذين أرتجلهما عند المواجهة الشريفة عام حجة سنة (555 هـ) ، امام الحجرة النبوية الشريفة ، والمرقد الأنور المنور :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتـي

وهذه دولة الأشباح قد حضـرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

* * *

وكان ـ رحمه الل تعالى ، ورضي عنه ـ من العلماء الفقهاء المحدثين ، قبل أن يكون من العارفين الذاكرين ، الذين يربون الرجال ، ويزكون أنفسهم ، ليحسب من أبرز أئمة التزكية والتربية والسلوك إلى الله تعالى ، ممن اصطلح على تسميته : برجال التصوف الإسلامي وأئمته .

ولم يكن السيد أحمد ليكتفي بذلك ، بل كان مجدداً ومصلحاً صوفياً يغار على شريعة جده المصطفى ، صاحب الرسالة ، كما يغار على نهجه القويم .

لذلك انبرى لمواجهة ثلاث بدع شاهدها في عصره لدى بعض أدعياء التصوف والدخلاء عليه ، فتصدى ـ رحمه الله تعالى ـ لها ، وحذر منها ، وأوضح أن التصوف الإسلامي الملتزم برئ منها ، كما بين ذلك بجلاء في كتابه المعروف ((الرهان المؤيد)) .

وكانت تلك البدع الدخيلة هي :

1- القول بالوحدة والحلول والاتحاد .

2- الشطح ، وهو تجاوز حدود الشريعة ، قولاً أو عملاً .

3- الدعاوي . أي : الحرص على إظهار الكرامات والتبجح والتفاخر بها .

وكأنه ـ رضي الله تعالى عنه ـ يستجيب لنداء الإمام عبد الكريم القشيري صاحب كتاب ((الرسالة)) ، من رجال القرن الثالث الهجري ، وتحذيراته للسادة الصوفية من مخاطر الإنزلاق والانحراف مع النفس والهوى والشيطان والدنيا عن السراط المستقيم .

وكأنه يطمئن الإمام الرباني الشيخ أبا مدين شعيباً المغربي عندما قال :

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا هم السلاطين والسادات والأمرا

فاصحبهم وتأدب في مجالسهم وخل حظك مهما قدموك ورا فقام ـ رحمه الله تعالى ، ورضي عنه ـ بالواجب خير قيام . ويكفي في هذا المجال قوله : " اتبع ولا تبتدع " وقوله : " كل طريقة خالفت الشريعة فهي زندقة " .

ولصدق السيد مع الله تعالى ، وإخلاصه له ، ولاتباعه الكامل ومحبته الفائقة لجده ونبيه سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، / أكرمه الله تعالى بأن جعل في ذريته من أهل بيته كبار الأولياء والعارفين الدالين على الله تعالى ، بأقوالهم وأعمالهم .

كما بارك الله تعالى في ذريته المباركة أولاد ابنتيه الكريمتين :

السيدة زينب أم الرجال ، وأختها السيدة فاطة أم النور ، اللتين زوجهما من أبني ابن عمه السيد سيف الدين عثمان ، وهما : السيد علي مهذب الدولة ، والسيد عبد الرحيم ممهد الدولة .

فتكاثرت هذه الذرية المباركة ، وانتشرت في بلاد العرب كالكويت ، والبحرين ، وقطر ، والحجاز ، والإحساء ، ودولة الإمارات ، ومصر ، والعراق ، وسوريا ، والأردن وفلسطين ، حتى المغرب العربي .

وذلك رأيت له ذرية في الهند ، والباكستان ، وتركيا ، وغيرها .

وهم ـ ولله الحمد ـ بين الناس شامة في أخلاقهم ومعاملتهم ، كما أنها محل التقدير والأحترام ، يتبادر الموفقون إلى مصاهرتهم والتبرك بأجدادهم الكرام ، بفضله تعالى ومنته .

لقد توفى أبناء السيد أحمد المذكور في حياته الشريفة ، ولم يخلفوا ، ونسله ـ كجده المصطفى ـ في ابنتيه السيدة زينب ، والسيدة فاطمة المذكورتين .

علماً بأن السيد أحمد الرفاعي وأصهاره أبناء عمه وآباء أسباطه كلهم رفاعيون ، يستدون اللقب والنسب من جدهم السيد رفاعة المكي الحسيني ، دفين إشبيلية في الأندلس ، الذي اجر إليها من مكة الكرة سنة (317 هـ) بعد فتنة القرامطة ، ثم عادوا إلى الحجاز ، ثم إلى البصرة في العراق في عهد دهم السيد يحيى نقيب أشراف البصرة ، المدفون في قرية " السبيليات " جنوب البصرة ، وقبره المبارك معروف ، لا يزال يزار حتى الآن ، ولله الحمد .

لقد أشتهر عن أبناء الطريقة الرفاعية : الضرب ابلسلاح ، ودخول النار ، أو حملها وهي ملتهبة ، وكذلك القبض على الحيات والأفاعي . وكل ذلك دون أن تضرهم ، على مشهد من الناس أثناء جلسات الذكر المسماه بالحضرة .

وهذا الأمر مستمر حتى اليوم ، وقد تتبعت ذلك فلم يثبت لي أن هذه الأفعال ـ التي تعتبر من الكرامات للطريقة ـ كانت تعمل في حياة مؤسس الطريقة الإمام السيد أحمد الرفاعي شيخ الطريقة الأعلى ، ومؤسسها ، أو في مجالسة المباركة .

والأرجح أنها ابتدأت وانتشرت بعد حياته المباركة ، أيام فتح التتار لبغداد سنة (56 هـ) ، وهجومهم على أراضي دولة الخلافة الإسلامية

ولعل الباعث والدافع إليها كون التتار الغزاة كانوا قوماً همجاً قساة ، يرهبون الناس ، ويرعبونهم بقوتهم البدنية الفائقة ، وشجاعتهم ، وحب سفكهم للدماء ، ولم تكن تنفع معهم الدعوة والحوار في ترك باطلهم والكشف عن مظالمهم ، والاستماع إلى دعوة الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ..

ما أضطر شيوخ الطريقة الرفاعية وخلفاءها آنذاك للقيام بعمل مادي ملموس محسوس ، كضرب السلاح ،

وولوج النار ، والتنانير وهي مسعرة ملتهبة ، ثم الخروج منها بسلامة وسلام ليبينوا لأولئك الظلمة العتاة القساة ، الذين كانوا يقذفون المسلمين في النار والتنانير ، ويقطعون رؤوسهم وأوصالهم ، أن هذه القوة الفتاكة / لا ترهبهم كمسلمين ، بل أن الله تعالى سخرها لهم ، ويسلبها خاصية إحراق أجسادهم عندما يدخلونها ، ويلجون فيها ، أو يحملونها ..

مما كسر شوكة التتار ، وخفف من غلوائهم ، وجعلهم بعد ذلك يدخلون في دين الله بعد أن هزمت الكرامة معبودهم المادي (القوة الغاشمة) .

ومع ذلك فإني شخصياً وكثيراً من شيوخ الطريقة لا يحبذون ، ولا يقرون اللجوء إلى إظهار وإبراز هذه الأعمال والتظاهر بها ، إلى عندما يكون ذلك للتحدي ، أي : إظهار الأمور الغيبية ، والكرامة نوع منها ، لنصرة مظلوم ، أو إثبات صحة الطريق والدين ، وإثبات أن الله تعالى يؤيده أمام المخالفين والمنكرين .

وقد سبق أن قدمنا أن الإمام السيد أحمد الرفاعي كان لا يحبذ الدعاوي والتباهي والتفاخر بالكرامات ، وفعلاً هي كذلك ، إلا أن تكون اضطراراً أو قهراً عن صاحبها .

أما بشأن هذا الكتاب المبارك الخاص بترجمة وحياة الجد الإمام السيد أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى ، ورضي عنه فإنه قد سبق لي ـ عندما كنت وزيراً ، ونائباً في مجلس الأمة ببلدي الكويت ورئيساً للبلدية ، ومشغولاً بأمور أخرى ـ أن سلمت عدداً من الكتب الخاصة بالسيد أحمد المترجم له وبالطريقة الرفاعية العلية ـ كما ذكر علامة الهند المرحوم الشيخ السيد أبو الحسن الندوي في مقدمته للكتاب ـ إلى أبن عمنا الفاضل السيد الشيخ مصطفى الرفاعي المقيم في مدينة بنجلور كرناتكا بالهند ، وهو من العلماء ، وشيوخ الطريقة المربين المعروفين ، الذي قام مشكوراً بإعداد الهيكل العام لهذا الكتاب ، ثم أعاده إلي لكسوته ومراجعته .

فوفقني الله تعالى لذلك ، ببركة صاحب الترجمة مولانا ـ بعد الله ورسوله ـ سيدنا أحمد .

كما أنه كان من تيسير الله وكرمه أن قام أخونا وابن حبيبنا المحقق والباحث الماهر الموفق الشيخ حسن بن شيخنا المرحوم عبد الحكيم عبد الباسط ، ناشر التراث الرفاعي ومعتمده /بمشاركتي في وضع التراجم والهوامش اللازمة التي جعلت من هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ كتاباً موثقاً على الأسس الحديثة للمعرفة والتوثيق .

فجزاهما الله تعالى خير الجزاء ، وجعل ذلك في صحيفة الجميع بفضله وكرمه .

ونحن إذ نقدم الكتاب للجميع ، وخاصة الرفاعيين نسباً وطريقة في العالم العربي خاصة ، وخارج ، لنحمد الله تعالى كثير الحمد على هذا التوفيق ، ونسأله تعالى أن يجلو به الصورة الواضحة النيرة عن هذا الإمام الكبير ، وعن الخطوط العريضة لطريقته العلية المباركة ، الملتزمة تمام الالتزام بما أمر به الله تعالى ونهى عنه ، وبما يحبه الله تعالى ويرضاه ، ورسوله الكريم معلم الخير ورسول الرحمة الهادي إلى الله بإذن الله ، سيدنا محمد عليه وآله أفضل الصلاة والسلام .

اللهم ربنا تقبل ، آمين ، والحمد لله رب العالمين .

دمشق الشام ، 28 صفر الخير ، 1423 هـ

2..2/5/9 م

وكتبة بيده الفانية

راجي عفو مولاه قليل المساعي

يوسف بن السيد هاشم بن السيد أحمد الرفاعي الحسيني

العودة الى فهرس المحتويات

كلمة السيد مصطفى الرفاعي الندوي

بسـم اللـه الرحمـن الرحـيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم .

أما بعد ، فإن الله قد وعد المؤمنين في كلامه المجيد الذي :

" لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ " [من سورة فصلت ، الآية 42] بأن يحفظ دينهم وشريعتهم ، فقال : " وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " [من سورة الحجر الآية 9]

وقد أكمل لهم دينهم ، وأتم عليهم نعمته ، ورضي لهم الإسلام ديناً .

إن الله في دينه شؤونا ، ومن شؤونه أنه يخلق لكل عصر رجلاً من رجال الإسلام ، الذين يقومون بالدين وأعماله ، ويتخلقون بأخلاقه ، وينذرونه في العالم وعلى كافة الناس ، وينفثون فيهم الروح ، روح العمل والجهاد ، وروح الرغبة في الطاعة والانقياد ، روح الحمية والنشاط .

ويرغبونهم في العبادات ، ويأخذون بهم إلى الجادة الوسطى في العقائد والنيات وتصحيح المعاملات ، ويمنعونهم من الإشراك بالله وحده وصفاته العليا وعن التشبيه بالمخلوق ..

ويشوقونهم في أوامر الله وسنن رسله ، وينهون عن المنكرات والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ويكفونهم عن المعاصي والذنوب ، الذين هم فرسان بالنهار ، ورهبان في الليل .

يشمرون عن ساق الجد نهاراً ، ويقومون الليل بعواطفهم الجياشة ، يبكون أمام ربهم ، حتى يبلوا لحاهم من الدموع ، خاشعين له صاغرين بين يديه ، ويشمئزون من غيره ، ويعتكفون في عتبته ، ويعفرون خدودهم في ثراه .

الذين يحبون الخلق في الله ، ويبغضونهم من أجله ، ويقولون علناً وجهراً : " أينقص الدين وأنا حي " . [قاله سيدنا أبو بكر الصديق لعمر رضي الله عنهما ، انظر " الفتوحات الإسلامية " 9:1 ، للعلامة أحمد بن زيني دحلان ، رحمه الله عليه .] .

يأخذون الدين كله من آدابه وسننه وفروعه بنواجذهم ، ولا يتركون منه سيئاً وأقل قليل ، حتى نقطة من نقطة علي أي قيمة وأي حال ، لا للمحة ولا دقيقة .

الذين يضحون بنفوسهم في سبيل الدين بتعلمه وتعليمه ، درسه وتدريسه ، أخذه وتبليغه ، يهاجرون من أوطانهم الحبيبة لأجله ، يخرجون من بلادهم الطيبة للدعوة إلية . ويبذلون جهودهم في نشره ولا يتهاونون .

ينفقون أموالهم وما في أيديهم ولا يبخلون , وتكون مساعيهم في سبيله متواصلة ، وجهودهم مستطاعة ، بل فوق الاستطاعة .

لا يمسهم التعب والكسل ، ولا السآمة والملل ، ولا يبالون بالجوع والعطش ، بل كلهم روح ونشاط وحماسة ويقين .

الذين تكون هممهم عالية ، وعزائمهم عظيمة ، ووقائعهم عجيبة ، وطبائعهم نقية ، وعاداتهم طيبة ، ونفوسهم

زكية ، وقلوبهم صافية ، وأبدانهم طاهرة ، وأخلاقهم كريمة ، وألسنتهم مثقفة .

نعم ، من شؤونه تعالى في دينه أنه يخلق لكل غرض سهماً من السهام لا يطيش ، ولكل عصر رجلاً من رجال الإسلام ، بطلاً من الأبطال ، ثم يفوض إليه أمر الدين ومن هم في عصره عليهم .

فيقوم هذا الرجل المتولي قائدهم وإمامهم ، وهم يقتدون به ويتبعونه ، ويطيعون أمره .

إن الأمة على كل حال في حاجة إلى دعاة وشخصيات قوية جامعة ترشدها في أمورها من العبادات والعقائد ، ومن ناحية التعليم والإصلاح ، والتهذيب والثقافة ، ومن ناحية العادات والأخلاق ، ومن ناحية المعاشرة والمعاش ، ومن ناحية الجهاد والحكومة .

ولو لم يكن تجد من يقوم بها ، ويقوم عوجها ، ويجدد لها دينها ، لضلت وانحرفت ، وتحاسدت وتهالكت ، وتباغضت فتقاتلت ، وضعفت ، واستكانت ، وتفرقت ، فخرق جمعها ، وشتت شملها ، وذهب ريحها ، وأشرفت على الهلاك .

ولولا هؤلاء الدعاة الكرام ، والرجال العباقرة ـ الذين يحبهم الله ، ويحفظهم من بين أيديهم ، ومن خلفهم ، وعن يمينهم ، وعن شمالهم ، ومن تحتهم ، ومن فوقهم ، وإن ملائكته في السماء ومن في الأرض ، حتى الحيتان في الماء والنملة في جحرها ، يستغفرون لهم ، ويصلون عليهم ـ لهلكت كما هلكت الأمم قبلها .

فلم زل هذه الأمة المرحومة ـ والحمد لله ـ مرزوقة بهؤلاء الدعاة والشخصيات ، ولا تزال ـ إن شاء الله ـ ترزق إلى يوم القيامة .

نلتقي اليوم منهم بداع كبير ، رجل عبقري ، كان فارساً مجاهداً من هؤلاء الدعاة والأبطال الفوارس والمجاهدين ، حريصاً على أذدياد الإيمان واليقين ، رجاء حبه ونيل فيوضه وبركاته ، وشوقاً إلى لقائه وزيارته ، ورغبة في استفادة منه .

نلتقي اليوم بأحد العارفين الكبار ، كان ولياً من أولياء الله ، لا يعرفه الناس في الهند خاصة ، ولا يسمعون به إلا قليلاً ، لأنه عاش زاهداً متواضعاً ، وقضى حياته متجرداً في خدمة الدين وتربية النفوس .

بلغ من التواضع والتصاغر وإنكار الذات منتهاها ، واقتنع بالقدر الضئيل من القوت ولقمة العيش ، وارتضى من اللباس ما يستر جسمه وعورته ، لم تستهوه الدنيا بزخارفها وبهارجها ولم ترقه المباهج والملذات ، فانصرف عنها ، وتنكر لها .

ركز كل جهوده في إصلاح نفسه وتزكية غيره ممن التفوا حوله وأحبوه ، وجعل الآخرة همه ومنيته ، فل يبلغ عنها بديلاً ولا رضى بغيرها طلاباً .

كان من أرق خلق الله قلباً ، وأرحمهم نفساً ، يرى لكل نفس حية حقاً ولو كانت بعوضة أو نملة ، ويؤثر كل حيوان على نفسه ولو كانت هرة أو كلباً [سيأتي ذكر ذلك في ص (139-14.) فافطن له] .

لا يبالى بما في نفوس الناس من صداقات وعداوات ، ولا بالأفراح والأتراح ، إنما كان همه إرضاء الله ، والاتصال به ، والوصول إليه ، في صورة فقير عاش منعزلاً عن لذات الدنيا وطيباتها ، حتى يحوز نصيباً أوفر من ثواب الله ، وطيبات الآخرة ، ونعيم الجنة .

ألا وهو الشيخ الإمام السيد أحمد بن علي الحسيني ، عرف بأبي العباس الرفاعي .

إنما يعرف الإنسان بخصائصه ، ويعرف بجلسائه وأحبائه ، ويعرف بحياته وأسرته ، ويعرف بعزائمه وعواطفه ، ويعرف باشتغاله بالوظائف الدينية ، ويعرف بأخلاقه وعاداته .

ويعرف بعصره ومعاصريه ، وشهادتهم له وآرائهم عنه ، ويعرف بشهادة الكتاب والمؤلفين بفضله وكماله وقبوله ، وقد يعرف بخرق عاداته وكراماته .

ها نحن نقدم لسيدنا السيد أحمد الرفاعي ولكلامه ومعاصريه وأخلاقه ووظائفه الدينية وعيشته وأسرته الطيبة ، مبوباً مرتباً

" وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ " [من سورة هود الآية (88)]

السيد مصطفى الرفاعي الندوي

العودة الى فهرس المحتويات

وظائفه الدينية في حياته الشريفة: شعار أولياء الله

وظائفه الدينية في حياته الشريفة

شعار أولياء الله :

كان من شعار عباد الله الذين قاموا بالدعوة عودة الحق ، أن تكون أوقاتهم معمورة ، لا تخلو لا للمحة ولا لدقيقة ، بل بطرفة عين من انشغال ديني ، سواء كان ذلك اهتماماً بالعلوم الدينية , أو انشغالاً بتزكية النفوس ، أو اعتناء بالمواعظ والخطب ، أو عكوفاً علي التصنيف والتأليف ، أو مقارضة بالشعر الحكيم ، أو خدمة للفقراء والمساكين ,

كان سيدنا الرفاعي كثير العمل ، دائم الاشتغال ، يشتغل بأعمال جمة ، كان ملئ الوقت ، فاقد الفسحة فيه .

قال الأستاذ السيد محمد أبو الهدي الصيادي الرفاعي :

[قلت : هو الأستاذ الهمام ، والإمام ابن الإمام ، شيخ الإسلام ، ومفخرة الزمان ، السيد العلامة محمد أبو الهدي ، بن السيد حسن وادي ، بن السيد علي ، بن السيد خزام ، بن السيد الشيخ علي الخزام ، بن السيد حسين برهان الدين الصيادي الرفاعي الحسيني .

ولد رحمه الله تعالي - (سنة 1266 هـ) في " خان شيخون " ، في أعمال معرة النعمان ، الملحقة بولاية حلب الشهباء .

ولما بلغ ستة أعوام من العمر ، قرأ القرآن بثلاثة أشهر ، وفي السنة السابعة أتقن علم التجويد والقراءات وفنونها علي شيخ القراء في تلك الديار ، الرجل الصالح الشيخ : " محمود بن الحاج طه " .

وقرأ " متن الغاية " وشرحه في المذهب الشافعي علي الشيخ المذكور. ثم لازم غيره من العلماء ، فقرأ العربية والفقه علي مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله ، وتبحر في علوم الأدب واللغة والأصول والحديث والتفسير ، وتوسع في الفنون ، وحفظ أكثر المتون .

وتبحر في علوم البلاغة والتاريخ والنساب والبيان والبديع ، وطال باعه في التصوف ، فحل بدقيق تصرفه غوامض معانيه ، وأوضح مضمرات خوافيه ، وبلغت محفوظاته إلي ما يزيد عن مائة ألف بيت .

ثم انتقل إلي حلب الشهباء ، فأجتمع فيه بالعلماء والفضلاء ، فاشتهر اسمه بالتقوى والإنابة ، وعلا نجمه بالعلم والورع ، وأجازه والده العارف الفاضل بالطريقة الرفاعية .

قم اخذ التبرك بإذن والده من العارف الجيل السيد علي بن السيد خير الله الصيادي ، شيخ المشايخ بحلب الشهباء ، طيب الله ثراه .

وفي سنة (1283 هـ) قصد بغداد لزيارة شيخه السيد المحدث العلامة محمد مهدي بهاء الدين الصيادي الرفاعي الحسيني ، الشهير بـ " الرواس " فانقطع إليه ، وتحول في طريق الله عليه ، وبقي في خدمته ستة أشهر وسبعة عشر يوماً ، وكان أن حفظ مكنه ألوف الأبيات من شعره المهذب المبارك .

وفي سنة (1287 هـ) توجه إلي استانبول ، دار الخلافة ، وأحيلت لعهدته نقابة أشراف " جسر الشغور " ، وذلك في زمن السلطان عبد الحميد خان .

وفي سنة (1291 هـ) عين نقيب أشراف حلب ، وذلك في زيارته " الآستانة " للمرة الثانية .

" كان سيدنا الرفاعي ـ رضي الله عنه ـ معمور الأوقات [" الطريقة الرفاعية " ص (21) ، و " رموز الفقراء " ص (52) .] ومازال نجمه يتألق حتى استقدمه السلطان عبد الحميد خان ، فطلب منه الاجتماع به مرة أو مرتين في كل أسبوع .

ولما استأذنه المترجم ـ رحمه الله تعالي ـ في السفر منعه ، ونصبه " رئاسة مجلس المشايخ في دار الخلافة " ، وخصص له منزلاً ، وطلب منه استجلاب عائلته إلي " الآستانة " ، واستمر علي ذلك زهاء ثلاثين سنة ، كان خلالها ثقاب الخليفة ، حتى إنه كانت له الكلمة العليا في نصب القضاة والمفتين .

لا يمنعه م ذكر من إسداء النصيحة للخليفة والمسلمين ، خدمة للدين الحنيف ، رغم كثرة الوشاة والحاسدين ، وجهلة البلاد المارقين .

وكان المرض لا يفتأ يعاوده في حياته رحمه الله تعالي ، حيث أعلن الدستور العثماني سنة (19.8 م) .

وقبل تنازل السلطان عبد الحميد عن العرش بمدة وجيزة ، فاضت روحه الطاهرة إلي بارئها عز وجل ، مفارقة أهله وأحبابه في جزيرة الأمراء في " رينكيبو " في استانبول ، ليلة السبت لـ " 6 " ليال خلين من ربيع الأول سنة (1327 هـ) .

ثم نقل جثمانه الطاهر بعد فترة إلي حلب ، حيث الأهل والأحباب ، بجوار القلعة ، في دار الإفتاء .

انظر ترجمته بجلاء ووضوح للسيد الشيخ شرف الدين حسن بن عبد الحكيم عبد الباسط ، في الترجمة التي وضعها في كتاب المترجم "الكنز المطلسم"

العودة الى فهرس المحتويات

اشتغالـه بالعلـوم : التحصيل والتدريس :

اشتغالـه بالعلـوم : التحصيل والتدريس :

اجتهد سيدنا الرفاعي في التحصيل وطلب العلم ، وشمر عن ساق الجد فيه ، حتى برع فيه ، ثم اشتغل بالتدريس بواسط .

قال صاحب الرموز : اشتغل بالتدريس بعد ما تخرج من العلوم".

مهارته في التعليم :

كانت له يد طولي في التدريس ، ومهارة عظيمة في الإفهام والتفهيم ، يحل المعضلات ، ويكشف عن

الحقائق ، ويأتي بما لم يأت به أحد غيره من الأدلة القوية والبراهين القاطعة علي مذهبه ومسلكه .

يتكلم سيدنا الرفاعي في درسه والتلامذة ومن حضر فيه يلقون إليه سمعهم صامتين بالرغبة والشوق ، مبهوتين بالتعجب من أسلوبه البديع الفريد .

يقول سبطه السيد عز الدين أحمد الصياد الرفاعي عن أسلوب كلامه[قلت : هو الإمام الهمام الفقيه المفسر العارف بالله ، السيد عز الدين احمد الصياد الرفاعي الحسيني ، ابن السيد عبد الرحيم ممهد الدولة

ولد سنة (574 هـ) ، قبل وفاة جده لأمه ، أبي العلمين ، سيدنا أحمد الكبير الرفاعي ـ رضي الله عنه ـ بأربع سنين .

ولما كبر سلك علي يد أخيه أبي الحسن عبد المحسن قدس سره ، وتخرج بصحبته ، وتفقه ، وتلقي علم التفسير والحديث من الشيخ عبد المنعم الواسطي .

واتفق أهل الطريقة وشيوخ الطائفة علي أنه لم يرفع طرفه إلي السماء قط / حياء من الله تعالي .

وكان كثير الخشوع والحياء من الله تعالي ، زائد البكاء ، قليل الكلام .

أجازه جده الإمام الكبير الرفاعي ـ رضي الله عنه ـ حال موته وهو ابن أربع سنين ، وبشر به ، وأثني عليه الخير ، ونوه علي ما له من المكانة والمنزلة الرفيعة .

وكان أسمر اللون ، طويل القامة ، حسن الوجه ، أكحل العينين ، وسيع الجبهة ، خفيف الوجه ، لطيف المنظر ، ذا هيبة وسكينه ووقار ، نوراني الطلعة ، لا يتمكن الإنسان من إباحة النظر إليه لجلالة قدره .

اشتهر في العراق أمره ، وسار في الآفاق ذكره ، وعظم شأنه ، فخاف علي نفسه من آفة الشهرة ، فخرج منها عام (622 هـ) ، وقصد الحجاز ، وتشرف بزيارة جده سيد الأنام ، عليه أكمل الصلاة وأفضل السلام .

ثم حج واعتمر ، وجاور بالمدينة المنورة تسع سنين ، وظهرت علي يديه الكرامات ، وبني رباطًا في المدينة المنورة بالقرب من سقيفة الرصاص ، معروفاً برباط الرفاعي .

وأخذ عنه الطريقة ابن نميله الحسيني ، حاكم المدينة ، علي ساكنها أفضل الصلوات والتسليمات ، والإمام عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني ، صاحب " شرح الشاطبية " وغيرها من الكتب في كل علم ، والشيخ العارف بالله تاج الدين الأبيدري ، وخلائق .

ودخل مصر عام (638 هـ) ، وأقام في المسجد الحسيني ، وأقبل عليه الناس ، وتلمذ له العلماء والشيوخ وأكابر الرجال والأشراف ، وحضر مجلسه وحلقه ذكره جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله ، وانتسب إليه خلق كثيرون ، وبنوا له بمصر رباطاً مباركاً في محله السباع .

وطاف اليمن ، ونزل الشام ، ودخل دمشق ، وعمر زاوية في ميدان الحصى ـ أي : ميدان جزماتية سكة ، وتعرف الآن بمسجد الرفاعي ـ تعرف بزاوية الرفاعي .

وخرج منها أيضاً ، وآل أمره أن دخل " متكين " ، قرية من أعمال معرة النعمان ، من أعمال حلب ، نزلها بعد الظهر ، سنة (643 هـ) يوم خميس .

تزوج بالست الجليلة خضراء أم الخير ، وأعقبت منه أولاده الكرام ، ثم عمت بركته ، وظهرت دولته ، وقاد الله إليه القلوب ، وبني الزوايا والرباطات بالشام وحمص .

وقدم بحمص علي صاحبه الشيخ جمال الدين بن محمد الأمير .

"... فإذا ابتدأ الكلام أخرس المتكلمين ، وأبهت الجاحدين ، وحير العارفين ، وأطرب السالكين ، وأبكي الخاشعين ، وأتي بجوامع الكلم ، وراثة عن جده r "] .

العودة الى فهرس المحتويات

انشغاله بالعلوم :تبحره العلمي :

تبحره العلمي :

حتى لقبه الناس بـ" الكبير " . قال صاحب " الرموز " :

" لقبه الناس بـ " الكبير ، لدراسته ومهارته العلمية " .

كان يكشف عن الحقائق ، ويأتي بالعجائب ، ويظهر الدقائق العلمية بما لا يخطر علي بال أحد ، فأشتهر بهذا اللقب الشريف ، حتى صار جزءاً من اسمه [كتاب "المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية" ص (42)] .

وجعله شيخ الرباط ، وأخذ عنه الشيخ الصوفي الشريف السيد الغوث ، ونزيل حلب ، ابن السيد الكبير عماد الدين ، بن السيد شرف الدين الشرفي الحسيني الحراني رضي الله عنهم .

وقصده الناس من العراق والمغرب والحجاز واليمن ، وبلغت مريدوه حال حياته إلي ما يزيد عن مئتى ألف .

توفي ـ رضي الله عنه ـ عام (37. هـ) ، وله من العمر ست وتسعون سنة ، ودفن في زاويته بمتكين ، رحمه الله رحمه واسعة .

انظر تفصيل ذلك بوضوح في " الرشحات الحسنية علي النفحة المسكية " ص (244-265) ، للسيد الشيخ شرف الدين حسن بن عبد الحكيم عبد الباسط .

وحتى اشتهر بعمله الوافر ، وجعل يضرب به المثل ، قال الأستاذ السيد محمود السامرائي الرفاعي :

" ضرب به المثل بالعلم الوافر وقول الحق " ("رموز الفقراء " ص(53) ، و" المجالس الرفاعية " ، (المجلس الأول) ص 1] .

الحاضرون في دروسه :

فلم يكن يحضر دروسه طلاب العلم فقط ، بل كان يحضرها كبار العلماء والمدرسين .

إن علماء عصره الكبار والفضلاء يحضرون دروسه شوقاً إلي تحصيل شرف التتلمذ عليه من جميع الأقطار .

ولقد استفاد من دروسه العلماء الكبار .

زاوية مدرسته :

كان سيدنا الرفاعي يدرس بواسط أولا ، ثم أرسل إليه خاله الشيخ منصور البطائحي ، وأجلسه في زاويته في أم عبيدة . [قلت : قال في " القاموس المحيط " 1 : 311 ، مادة : " عبد " : " أم عبيدة ، كسفينة ، قرية قرب واسطة ، بها قبر السيد أحمد الرفاعي " . وفي " تاج العروس" 8 : 335 ، للزبيدي : " وأم عبيدة ، كسفينة ، قرب واسط العراق ، بها قبر أحد الأقطاب الأربعة ، صاحب الكرامات الظاهرة ، السيد الكبير أبي العباس ، أحمد بن علي الرفاعي ، نسبه إلي رفاعة ، وهو ابن أخت السيد منصور البطائحي ، الملقب بالباز الأشهب ، رضي الله عنهم ونفعنا بهم " . أ هـ] .

قال الإمام المحدث الفاضل السيد الرواس في كتابه العجاب " بوارق الحقائق " ص (219و221و222) ، طبعه شيخنا العارف بالله الماجد عبد الحكيم عبد الباسط رحمه الله عليه ، عند ذكر أم عبيدة مانصه:

" هي دار البرهان والعرفان ، ومحل نفحات الرحمن ، ومضمار علوم انبجست من قلب سيد الأكوان ، وخزانة أسرار لمعت أشعة شموسها في الأكوان .

وغمد سيف أصلته سياف المدد لإعلاء شريعة الرسول ، وديباجة بارق باهر سلطانه في كل لية من خبطات صولته سيف بالقدرة مسلول.

البقعة المقدسة ، طور سيناء قلوب العارفين ، كعبة المحققين ، حرم الأمان للطالبين ، مدينة أفندة المتمكنين ، البيت المقدس الأمين ، وإشارة :] والتين والزيتون [.

سرارة تدليات الإفاضة من شوارق :] كن فيكون [. مهبط الرحمات ، منبع الفتوحات ، عنوان المنشور النبوي ، نمط الجفر العلوي" . أ هـ .

وفي " وفيات الأعيان " 1 : 172 ، لابن خلكان : " أم عبيدة : بفتح العين المهملة ، وكسر الباء الموحدة ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعد الدال المهملة المفتوحة هاء " . أ هـ .

جلس سيدنا الرفاعي في زاوية أم عبيدة ، وجعل يدرس ، فتهافت عليه الناس ، وبلغ عدد الطلاب إلي الآلاف .

شغله الخاص :

اشتغل بالدروس والاستفادة طوال حياته ، وكان له شغف خاص بالاشتغال العلمي ، وعلاقة قوية طبيعية بالعلوم .

اشتغل بالإفادة والتدريس طوال عمره ، ولم يترك خلة طالب إلا سدها ، ولم يترك حاجة لأحد من المشتغلين إلا قضاها ، كأنه مشغول عن كل شئ ، ومتوجه إلي الطلبة الذين اعتكفوا في عتبته .

وكان مشتغلاً بهم بتعليمهم وتأديبهم وتزكية نفوسهم ، حتى صار هذا الاشتغال أحب إليه مما سواه شغلاً .

قال صاحب " الرموز " : " حتى استولي عليه هذا الشغل " .

[" رموز الفقراء " ص 52] .

[ولأم عبيدة فضائل كثيرة ، انظر " الرشحات الحسنية علي النفحة المسكية " ص (48-5.) ، للسيد الشيخ شرف الدين حسن بن عبدالحكيم عبد الباسط ، سلمه الله .]

العودة الى فهرس المحتويات

اشتغالـه بالعلـوم :نصيحته للسالكين والمتلقين بطلب العلم :

نصيحته للسالكين والمتلقين بطلب العلم :

كان عنده اهتمام عظيم بالعلم الديني ، مثل تعلم المسائل والعقائد والاشتغال بما يتصل به من الأمور .

كان يأمر السالكين والمريدين فيقول : " اطلبوا العلم من المهد إلي اللحد " .[" البرهان المؤيد " ص (68) و " الطريقة الرفاعية ص (75)] .

ويرغبهم خاصة بتعلم الأمور التعبدية ، والمسائل الفقيهة ، يقول : " ركعتان من فقيه في دينه ، أفضل عند الله من ألفي ركعة من فقير جاهل في دينه" . [" البرهان المؤيد ص (68) و " الطريقة الرفاعية ص (75)] .

ويقول للمريد : " من انقطع عن مجالسنا لأجل قراءة القرآن العظيم ، أو لطلب العلم ، فهو مجاز ، فإن القرآن مأدبة الحق ، والعلم سلم القرب ، ونور الحقيقة ".

ويردد : " مجلس علم أفضل من عباده سبعين سنة " .

[" المقاصد الحسنة "ً (362) ، و " المعارف المحمدية " ص (43) ، و " إجابة الداعي " ص (34)] .

أمره للخلفاء والمجازين :

كان يأمر خلفاءه أن يعلموا المريد المبتدئ قبل كل شئ / علم العقيدة .

" علموا المبتدئين والمريدين علم العقائد ، فإنه سلم المعرفة ، ومن ضل عن علم العقيدة ، فهو عن الله في حجاب ، وإن أحدث في العقيدة فهو علي الضلال " . [" رموز الفقراء " ص (53)] .

" إذا تعلم أحدكم شيئاً ، فليعلمه الناس يتم له الخير " .

خدمته للطلبة :

كان سيدنا الرفاعي يخدم هؤلاء الطلبة ، ويقوم بكفاية الكل ، يقول صاحب " الرموز " :

" كان يقوم بكفاية الكل ، وهذا لكي يشتغلوا بأعمالهم ووظائفهم بالطمأنينة ، ولفراغ القلب عن فكر المعاش " .

تلامذتـه :

تخرج علي يده خلق كثير من طلبة العلم والدين ، واستفاد من دروسه خلق لا يحصي عددهم إلا الله .

قال العلامة زين العابدين عمر ابن الوردي في " تاريخه " ، الذي ذيل به علي تاريخ الشيخ أبي الفداء :

" وله من التلاميذ ما لا يحصي " [" الفتح المبين " ص (1.4) ، " رموز الفقراء " ص (3) و " قرة الناظرين " ص (53)] .

قال عمي صاحب " الرموز " السيد الشيخ فقير الله الشاه الرفاعي :

" بلغ عدد تلاميذه إلي الآلاف " [" مقالات إحساني " ص (197)] .

قال الأستاذ ذو الفقار أحمد السهارنفوري :

" تتلمذ له خلق لا يحصون ، وينتمي إليه عالم عظيم في كل قطر ، وتبعه جم غفير من كل جهة " .

كلام غير معقول :

قلت : وأما ما تكلم عنه الأستاذ السيد مناظر أحسن الكيلاني بقوله:

" ولم يذكر أحد أن الشيخ الرفاعي كان يقوم بشؤونهم الدراسية الرسمية مع تزكية نفوسهم " .

فنعذره عليه ، لأن الهند ليس فيها من كتب سيرة هذه الشخصية العظمي إلا تراجم في كتب الطبقات ، ك " الطبقات الكبرى " للشعراني مثلا :

أما الكتب الأخرى سواء أكانت صغيرة في حجمها تقدم هذه الشخصية ، أم كبيرة كاملة الصفات ، جامعة بين أشتات المحامد ، متفردة بترجمته ، فإنها تخلو عنها أرض الهند ، فلهذا السبب قلما عرفه الناس معرفة دقيقة ، بل أكثرهم عنه لجاهلون . أما عامة الناس ، فمعظمهم لم يطلعوا علي اسمه في الهند ، ولم يعرفوا اسمه فضلاً عن سيرته وعبقريته العظمي وفضله وكماله .

وهذا بسبب عدم وجود الكتب في لغة الهند خاصة [قال يوسف : كتب السيد مصطفي الرفاعي الندوي كتباً حول سيرة سيدنا الرفاعي وطريقته العلية باللغة الأردية] ، وفي مكتبات الهند ، علي الرغم من جلائل خدماته ومكارم أخلاقه واشتغاله بالوظائف الدينية ، وبسبب الإهمال الذي قام به الكتاب والمؤلفون بشخصيته .

العودة الى فهرس المحتويات

اشتغالـه بالعلـوم :اشتغاله بالتصنيف :

اشتغاله بالتصنيف :

بعد أن أصبح سيدنا الرفاعي علامة وقته في العلوم ، عقلية كانت أم مأثورة ، قام بالتصنيف والتأليف ، والتفت إلي شرح بعض الكتب بمختلف العلوم الدينية ، من تفسير وفقه وحديث وإرشاد وتصوف وأخلاق ، وانتفع تلامذته بكتبه كثيراً .

ضياع مؤلفاتـه :

يقول صاحب " الرموز " رواية عن الثقات : " إن سيدنا الرفاعي ألف اثنين وستين وست مائة كتاباً " [قلت : في هذا العدد الذي أورده المؤلف نظر ، والثابت منها قليل ، ومن أشهرها : " البرهان المؤيد " ، و" النظام الخاص " ، و" الحكم " ، و" حالة أهل الحقيقة مع الله " ، و " شرح التنبيه " في ست مجلدات ، كما أشار إلي ذلك الإمام السراج في " صحاحه " ص (91) ، و " الصراط المستقيم في معاني بسم الله الرحمن الرحيم " ، و " تفسير سورة القدر " , كما في " المعارف المحمدية " ص (1.9) . أما ما ورد ، فيحمل علي رواية ذكرها الإمام العز الفاروثي في كتابه " إرشاد المسلمين " ص (75) ، من أنه : " بلغت أحزابه ـ أي : السيد أحمد الرفاعي ـ إلي اثنين وستين وست مائة ، وهي متداولة بأيدي الأحمديين وغيرهم " . انتهي ، فافهم] .

يقول الأستاذ السيد محمود السامرائي عن هذه الكتب القيمة :

" إلا أن معظم هذه الكتب فقدت ، إما بواقعة التتر ، أو بالتلف ، أو مازالت مبثوثة في مكتبات العالم " .

العودة الى فهرس المحتويات

اشتغالـه بالعلـوم :مؤلفاتــه القيمــة:

مؤلفاتــه القيمــة

استطعنا أن نعثر علي أسماء بعض مؤلفاته العظيمة ، التي ذكرت أسماؤها في كتب الفهارس وهي :

1 _ " البهجة " (قلت : ذكر الإمام السيد الصياد في كتابه " المعارف المحمدية " ص (1.9) : أن كتاب " البهجة " غير " شرح التنبيه " ، فتأمل. وله كتاب آخر يعرف بـ : " المجالس الأحمدي' " ، كما في " المعارف " ص (1.9) . كتاب " التنبيه " يعتبر من أهم كتب الفقه الشافعي ، ألفه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ، كان قرأه سيدنا الرفاعي علي أستاذه الجليل علي القاري الواسطي .

يعتبر هذا الكتاب حجه في المذهب الشافعي ، وقد شرحه سيدنا الرفاعي في ستة مجلدات ، وضاع هذا الشرح العظيم في هجوم التتر علي بغداد .

2 ـ " النظام الخاص لأهل الاختصاص " ، في التصوف والأخلاق . [طبع بالمطبعة العلمية سنة 1212 هـ ، معجم المطبوعات العربية (5-548]) وكذلك أمامنا نسخه طبعتها مكتبه الحلواني بدمشق مسكية] . يمثل هذا الكتاب ناحية الدعوة إلي الأخلاق الإسلامية والروحانية الصادقة والتحلي بالحقائق .

صنف سيدنا الرفاعي هذا الكتاب العظيم بعد ما تذوق كلاً من هذه الأحوال ، فجاء الكتاب صورة لنفسيته وانطباعاته وتأملاته ، لذلك كان شديد التأثير في نفوس القراء . وللأستاذ محمود السامرائي عليه تحقيق .

3 ـ " الطريق إلي الله " [قلت : ذكره الإمام السيد الصياد في كتابه " المعارف المحمدية " ص (1.9)] .

4 ـ " العقائد الرفاعية " مطبوع , طبع هذا الكتاب في مطبعة دار البصري ببغداد ، هذان الكتابان في التصوف [قلت : أي : الأول ، وهو " بعض تصرف ، فقد طلب من الإمام الرفاعي بعض تلامذته أن يكتب لهم الطريق إلي الله " ، والثاني وهو " ا لعقائد " ، لكن في تسميته كتاباً في العقيدة ، كما جاء ذكر ذلك في " خلاصة الإكسير" ص (61) لأبي الحسن الواسطي رحمه الله عليه ، و" المعارف المحمدية " ص (4) للسيد الإمام الصياد رضي الله عنه . والطالب لذلك هو الشيخ يعقوب بن كراز ، فافهم] .

5 ـ " تفسير سوره القدر " .

6 ـ " الصراط المستقيم في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم " .

7 ـ " علم التفسير " [قلت : لم يثبت ذلك ، والمثبت يحتاج إلي دليل في هذا الباب] هذه الثلاثة الأخيرة في التفسير ، ولكنها مفقودة .

8 ـ " الرواية في الحديث " [قلت : ذكره الإمام السيد الصياد في كتابه : " المعارف المحمدية " ص (1.9) . مفقود]

9 ـ " الحكم الرفاعية " ، في التصوف .

وهي رسالة مهمة جداً في آداب الشيخ والمريد ، حققها ونشرها الأستاذ محمود السامرائي ، ونقل هذا الكتاب إلي اللغة الأردية ، وطبع في سنة 1914 م بلاهور باكستان .

1. ـ " حالة أهل الحقيقة مع الله " ، في التصوف ، شرح فيه أربعين حديثاً ، رواها عن شيوخه في العلم والطريقة ، وقد طبع عده طبعات[قال يوسف : طبع هذا الكتاب العظيم في مطبعة دار البصري ببغداد في سنة 1389 هـ ، ولقد أهدي إلينا منه نسخة القيم علي الحجرة النبوية بالحرم النبوي الشريف ، المرحوم السيد أحمد بن المرحوم السيد حمزة الرفاعي في 23 محرم الحرام سنة 13.. م .

وكذلك حصلت علي نسخة أخري طبعت في مكتبه الحلواني بالمسكية بدمشق ، أصدرته مكتبه الحلواني بدمشق .

11 ـ " الأحزاب الرفاعية " ، في التصوف .

جمعت فيه أحزاب سيدنا الرفاعي وعددها (66) حزباً ، ونشرت باسم " السير والمساعي في أحزاب السيد أحمد الكبير الرفاعي " ، وهي مطبعة ومتداولة[قلت : قام بجمعها السيد الشيخ إبراهيم الراوي الرفاعي الحسيني ، خليفة سيدنا الإمام أبي الهدي الصيادي الرفاعي الحسيني ، وشيخ السجادة الرفاعية في بغداد ، رحمه الله عليهما] .

12 ـ " السر المصون " ، في التصوف[قلت : لا يطلق علي الأحزاب والأوراد أنها في التصوف ؛ لأنه الخلق الذي كان عليه الرسول r وأصحابه وأهل بيته الطيبون رضوان الله عليهم ، ففي هذا الإطلاق بعض تجاوز] ، وهو حزب سيدنا الرفاعي .

13 ـ " البرهان المؤيد " ، في التصوف والأخلاق .

يمثل هذا الكتاب العظيم القيم النادر الفريد ناحية الدعوة إلي الإسلام الحقيقي والتصوف الحقيقي ، وإلي الجمع بين الشريعة والطريقة عدم التفريق بينهما .

ويمثل للمسلمين الحياة الربانية ، ويدعو إلي التقارب بين الفقهاء وين الشيوخ العارفين ، كما أنه يدافع عن الصوفية وحقوقهم عند العلماء والفقهاء .

ويتضمن الكتاب أن التصوف الحقيقي يتبرأ من المبتدعين باسمه ، ويتبرأ من عقائدهم الباطلة ، كما هو مجموعة لمجالس ولمواعظ السيد الرفاعي وخطبه ، وهو بحر عميق زخار من المعاني والعلوم ، وقد طبع عده طبعات في مكتبات العالم الإسلامي [" معجم المطبوعات العربية " ص (5 : 94.)] .

العودة الى فهرس المحتويات

اشتغالـه بالعلـوم :العالم الرباني :

العالم الرباني :

ولاشك أن سيدنا الرفاعي كان علامة كبيراً في جميع العلوم العقيلة والنقلية ، ولكن الله سبحانه حباه وخصه وأفاض عليه بالعلم اللدني كذلك.

يقول الشيخ الجليل السيد محمد مهدي الشهير بـ : الرواس الرفاعي الحسيني ـ رحمه الله عليه ـ ، عن مكانته في العلوم الوهبية ، في أبيات له (قلت : كما في ديوانيه : " معراج القلوب إلي حضرات الغيوب " ، الباب الرابع ، ص (172-173) ، و" ومشكاة اليقين " ص (22) . :

لعمري أبو العباس أعلم من طوي علي العلم بعد التابعين رداءة

وأعرف حزب العارفين بربه ومن ثم أعلي الله فيهم لواءه

وعلمه حزب اللدني واصطفي له خدمـا في نهجه أولياءه

وحققه في رتبه الصدق والهدي وعرف فيـه أرضه وسماءه

وصيره عن سيد الرسل نائبـاً وورثـه في حالـه أنبيـاءه

[قلت : هو الشيخ الجليل ، والمحدث النبيل ، والسيد الأصيل الرفاعي الثاني ، والمجدد لهذه الطريقة في القرن الثالث عشر ، محيي الطريقة ، وأستاذ الشريعة والحقيقة ، المقبل علي الله ، المعرض عن الناس ، الإمام الهمام السيد محمد مهدي بن السيد علي الصيادي الرفاعي الحسيني الحسني الشهير بالرواس ، رضي الله عنه ، ونفعنا بعلومه والمسلمين ، أمين] .

ولد ـ رحمه الله تعالي ـ سنة (12.. هـ) ببلدة سوق الشيوخ في العراق ، بليدة من أعمال البصرة ، سكنها أبوه بعد الطاعون الذي وقع في البصرة ، ثم توفي أبوه وأمه ، وبقي يتيماً ، وبلغ من العمر خمس عشرة سنة ، وكان قد قرأ القرآن العظيم علي رجل بسوق الشيوخ ، اسمه ملا أحمد ، من الصالحين .

وفي سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف ، جذبه القدر إلي السياحة والتجريد ، ونظرته عين العناية والوقاية بالمدد المديد ، فخرج من سوق الشيوخ طالباً بيت الله الحرام ، وزيارة النبي عليه وآله الصلاة والسلام .

وجاور بمكة المكرمة سنة ، وفي المدينة المنورة سنتين ، واشتغل بطلب العلم علي علماء الحرمين المباركين .

ثم نزل مصر ، وأقام في الجامع الأزهر ثلاث عشر سنة , يتلقى العلوم الشريعة ، والفنون المرضية عن مشايخ الأزهر ، حتي برع في كل علم .

ثم خرج قافلاً إلي العراق علي قدم الفقر والتجرد والانكسار ، فاجتمع بالشيخ العارف بالله ، السيد عبد الله الراوي الرفاعي ، فأخذ عنه الطريقة العلية الرفاعية ، ولزم خدمته والسلوك علي يديه مده ، فأجازه , وأقامه عنه خليفة .

ثم خرج للسياحة ، فطاف البلاد ، وذهب إلي الهند ، وخراسان ، والعجم ، والتركستان ، وبلاد الأكراد ، وجاب ديار العراق ، وبلاد الشام ، ونزل القسطنطينية ، وسار في الأنادول ، والروملي ، وعاد إلي الحجاز .

وذهب إلي اليمن ، ثم رجع إلي نجد ، والبحرين ، واجتمع علي أئمة العصر وعلماء الزمان وأشياخ الوقت .

كان أسمر اللون ، حسن المبسم ، لطيف المنظر ، ربعة من القوم إلي الطول أقرب ، رقيق القوام ، نحيله ، وسيع الجبهة ، أكحل العينين ، حسن الصوت ، عظيم المهابة ، قوي القلب ، ذا براعة في النطق ، وسيع العلم ، سهل الطباع ، متمكناً في الدين ، يدور مع الحق حيث دار يتأخر في مشيه عن مريديه ومحبيه خيفة من أن تنعطف إليه أنظار الناس .

وكان يلبس ثوباً أبيض ، وفوقه دراعة رزقاء ، وعباءة قصيرة الأكمام ، وحزام من الصوف الأسود ، وعلي رأسه طاقية من الصوف الأبيض ، ويلف عليها عقالاً من الصوف الأسود ، عملاً بالأثر الرفاعي والسنة المحمدية ، وتخافياً عن التشيخ .

توفي ـ قدس الله سره ـ ببغداد ، ودفن أولاً في الجانب الشرقي منها بمسجد دكاكين حبوب ، وذلك سنة (1287 هـ) ، رضي الله عنه ونفعنا بعلومه والمسلمين ، آمين .

ثم نقل بعد ذلك إلي مسجد السلطان علي ، والد السيد الإمام الرفاعي الكبير ، في شارع الرشيد ببغداد دار

السلام ، رضي الله عنهم أجمعين . انظر " تنوير الأبصار " ص (122 - 132) ، للسيد أبي الهدي .

العودة الى فهرس المحتويات

اشتغالـه بتزكيـة النفـوس: التربيــة :

التربيــة :

قال سماحة المرحوم العلامة الأستاذ السيد أبو الحسن علي الندوي:

" إن مجالس الدرس والوعظ حلقات حرة مؤقتة ، يأتيها الناس ، ويحضرونها ، ثم يتغيبون عنها ، ويهجرونها ، ويداوم عليها كثير من الناس ، ثم يظلون علي ما هم عليه من تقاليد وعادات وأهواء وشهوات".

ثم يقول : " اتسع العمران في الحواضر والمدن ، وشغلت الحياة وحاجاتها النفوس ، فقل من يعتكف في المدارس ، وينقطع إليها ليدرس العلوم الدينية ، ويتوسع فيها .

وهكذا أصبحت هذه المدارس التي تخضع لقيود وتقاليد كثيرة قاصرة عن إصلاح شعبي وتربية عامة ، وبقيت منحصرة في نطاق ضعيف ، لا تقيد ولا تسعف إلا العدد القليل الذي يلحق بها ، وينتسب إليها .

فلا صله لها بالشعب ، ولا صله للشعب بها إلا عند الاستفتاء أو ما يشبه ذلك ، وأنها تعيش في عزلة عن الحياة .

وكذلك المؤلفون المثقفون الكبار ، فالفجوة الثقافية والعقلية بينهم وبين الشعب واسعة عميقة ، لا يعتبرها إلا الخاصة والشواذ .

ثم إن صله الناس بالمدارس والعلماء والمؤلفين صلة علمية عقلية ، لا يخضع له القلوب والنفوس ، ولا تنصبغ بها الحياة والأخلاق والطبائع إلا في النادر ، ولا يتقيد بها الناس ، ولا يرتبطون بها ارتباطاً روحياً إلا في النادر .

كان المسلمون في حاجة إلي دعاة وشخصيات قوية جامعة تجمع بين تلاوة الآيات وتعليم الكتاب والحكمة وتزكية النفوس ، وهكذا تخلف الرسول r في أمته بعد انقطاع النبوة ، وتجدد صلتها بالسنة والرسول ، وتجدد الميثاق الذي دخلت فيه هذه الأمة والمسلمون جميعاً عن طريق الإيمان ، والنطق بالشهادتين ، وما عاهدت عليه وبايعت الرسول r ـ مع بعد الزمان والمكان ـ من السمع والطاعة ، ومخالفة النفس والهوى والشيطان ، والتحاكم إلي الله والرسول ، الكفر بالطاغوت ، والمجاهدة ، والمجاهدة في سبيل الله .

فقد تغافل عن ذلك الخلفاء ، واقتصروا علي الجباية والفتوح وأخذ البيعة لأنفسهم وأولادهم ، وعجز عن ذلك العلماء ، فاشتغلوا بالفتوى والوعظ والتدريس والعلم والتأليف ، وإذا أرادوا لم يخضع لهم العامة ؛ لأنهم لا يرون فيهم إلا النادر القليل من الإخلاص والزهد .

وهكذا ضعف الشعور في العامة والسوقة والفلاحين والعملة ، حتى في كثير من الخاصة والمتعلمين / بأن الإسلام عهد وميثاق وبيع وشراء بين العبد وربه وأصبحوا أحراراً في تصرفاتهم ، جامحين عاتين في شهواتهم هملاً وقطعاناً ، لا يضبطهم راع ، وضعفت في كثير منهم الرغبة في الطاعات وبلوغ درجة الإحسان ، والحصول على نور اليقين وبشاشة الإيمان ، وتقاصرت الهمم ، وخمدت النفوس ، وأقبل الناس ـ إلا من عصم ربك ـ على اللذات والشهوات .

ضيعت الخلافة الإلامية ـ كما وصفنا سالفاً ـ روح الخلافة وأمانة النبوة ، وأصبحت ملكاً وسياسة وإدارة جباية .

فقام في نواحي المملكة الإسلامية الواسعة خلفاء الرسول (r) والربانيون ، يجدد الناس بدعوتهم وصحبتهم ميثاق الإسلام ، ويدخلون في السلم فقهاً وإرادة ، بعدما دخلوا في الإسلام وراثة وعادة ، ويستردون بتعليمهم وتربيتهم حلاوة الإسلام ولذة الإيمان ، ويخرجون من سلطان الهوى ورق الشهوات وعبادة الناس ، وينشطون في العبادات والطاعات والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله .

ومن أشهر الدعاة والمربين : الحسن البصري ، والفضيل بن عياض ، ومعروف الكرخي ، والجنيد البغدادي رحمهم الله .

وانتهى الأمر إلى القرن السادس ، وقد تباعد الزمان عن النبوة وآثار بركاتها ، واتسعت الدنيا ، وكثرت أسباب الغفلة واللهو وطال عليهم الأمد فقست قلوبهم " .

انتهى ما تم اقتباسه من كلام المرحوم العلامة السيد أبي الحسن الندوي الحسني رحمه الله تعالى ، في كتابه المعنون " رجال الفكر والدعوة " (1 : 381) .

مربي القرن :

نهض في هذا الجو رجل قوي الشخصية ، قوي الإيمان والعلم ، قوي الدعوة والتأثير .

لقد وجد هذا الرجل في شخص يقال له : أبو العباس ، السيد أحمد الكبير الرفاعي .

خرقه الخلافة :

كان سيدنا الرفاعي يدرس بواسط وحوله آلاف الطلبة ، إذ أرسل إليه خاله وشيخه ، حضرة الشيخ الباز الأشهب منصور البطائحي ، وأجلسه في زاويته نائباً عنه ، وذلك قبل سنة من موته ، ثم أذن له في البيعة والإرشاد .

[قال صاحب " الرموز " و " رموز الفقراء " ص (53)]

((أجلسه الشيخ منصور البطائحي في زاويته ، وألبسه الخرقة ، وجعله خليفته في سنة (539 هـ) (قلت في هذه السنة المذكورة توفى شيخه الشيخ علي الواسطي ، ولما دخلت سنة أربعين وخمسة مئة ، وتم للسيد أحمد إذ ذاك من العمر ثمان وعشرون سنة ، عهد الشيخ منصور له بمشيخة الشيوخ ، وبمشيخة الأروقة والربطات المنسوبة إليه ، وفي تلك السنة توفى الشيخ منصور .كذا في ((إرشاد المسلمين)) ص (31-32) للإمام العز الفاروثي رحمة الله عليه) ، وكتب إلى مريديه والمنتسبين إليه ومشايخ واسط والبصرة أن يرجعوا إلى السيد أحمد الرفاعي الحسيني ، وأن يتصلوا به ، وأن يكون الأتصال والارتباط قوياً وثيقاً به من اليوم .

سلوك الطريقة والمجاهدة :

توفى الشيخ منصور البطائحي وسيدنا الرفاعي أبن ثمان وعشرون سنة ، فأكثر من المجاهدة والذكر ، ومن التلاوة والعبادة ، وزاد في الزهد عن الدنيا ، وفي الخشوع والذل والخضوع لله وإنكار الذات .

العودة الى فهرس المحتويات

اشتغالـه بتزكيـة النفـوس : تهافت الناس عليه للبيعة والاسترشاد :

فاشتهر سيدنا الرفاعي بحسن سلوكه ، وشاعت سيرته في مجاهدته ، وذاع صيت نبوغه بين الناس ، فدخلوا زاويته (قال صاحب ((الطريقة الرفاعية)) ص (12.) : ((إن أم عبيدة صارت مطاف الألوف من أهل التلال وفحول الرجال)) أفواجاً من كل فج عميق ، ودخل في زاويته خلق لا يحصيهم إلا الله (قلت : لما

دخلت سنة سبع واربعين وخمس مئة ، حصيت الرقاع التي وردت إلى السيد أحمد ـ رضي الله عنه ـ من مريديه الذين دخلوا الخلوة المحرمية ، فذادت عن سبع مئة ألف رقعة ، أفاده صاحب ((إرشادات المسلمين)) ص (32))

فصلحت أحوالهم وحسن إسلامهم ، وظل سيدنا الرفاعي يربيهم ، ويزكي نفوسهم ، ويشرف عليهم .

فأصبح هؤلاء التلاميذ الروحيون يشعرون بالمسؤولية بعد البيعة وتجديد الإيمان على سيدنا الرفاعي ، ويملكون شعوراً جديداً من العلاقة القوية بالله تعالى والإقبال عليه .

خدماته الإصلاحية :

قام السيد الرفاعي بتجديد الإيمان والإسلام والعبودية لله تعالى والأخلاق الإسلامية الفاضلة بين تلامذته ومريديه ، وحارب النفاق الذي كان قد تسرب في المجتمع بقوة منقطعة النظير في تاريخ الإصلاح والتجديد .

وفتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه ، يدخل فيه المسلمون من كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي ، فيجددون العهد والميثاق مع الله ، ويعاهدونه على أن لا يشركوا ، ولا يكفروا ، ولا يفسقوا ، ولا يبتدعوا ، ولا يظلموا ، ولا يستحلوا ما حرم الله ، ولا يتركوا ما فرض الله ، ولا يتفانوا في الدنيا ، ولا يتناسوا الآخرة .

وقد أستطاع سيدنا الرفاعي أن يستمر في دعوته وجهاده خلال أكثر من نصف قرن في بيئة أشتد فيها الأستبداد ، وكثرت فيها المعضلات قلت : في هذه العبارة نظر ، وخصوصاً فيما كان لآل الرفاعي في زمنه ـ رضي الله عنه ـ من القوة والرفعة والمنزلة الرفيعة عند الخلق .

وقد كان السادة الرفاعية بعد وفاة السيد أحمد الرفاعي ـ رضي الله عنه وعنا به ـ يتوارثون الولاية على البلاد ، كما يتوارثون الولاية القلبية ، وكان الوالي يرسل من قبل الخليفة بشرط كونه تحت نظر شيخ رواق أم عبيدة .

وهذه الألقاب ـ أي : مهذب الدولة ، وممهد الدولة ـ ومثيلها كانت تمنح لمشايخ رواق أم عبيدة من قبل الخليفة في زمن كل واحد منهم ، كما أفاده صاحب " الخلاصة " ص (71-72) ، نقلاً عن الحدادي من كتابه " ربع العاشقين " .

أقول : فكيف يظن بوجود استبداد في زمن خليفته المستنجد بالله ، الذي وجه حاجبه نصر بن عماد إلى أم عبيدة بكتاب منه إلى سيدنا الإمام الرفاعي يطلب به منه النصيحة .

ومن جملة ما كتب له : " أسألك بالله أن تكثر من النصيحة لي بجوابك ، فإني في حاجة لنصيحتك ، وأي حاجة ، ولا ريب عندي بحصول بركة نصحك لي إن شاء الله "

وقال في الكتاب أيضاً " فإنك مهبط الفتح اليوم " .

وكان من جملة ما كتب له الإمام السيد الرفاعي رضي الله عنه : " وأنت تدري يا أمير المؤمنين أن ابن عمك إمام المسلمين علياً أمير المؤمنين كرم الله وجهه ، ورضي الله تعالى عنه ، حدث عن أبن عمه سيد المخلوقين (r) أنه قال : " لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع " . والأمر والله كذلك .

ثم أن الخليفة قرأ الكتاب وبكى ، ثم قرأه وبكى ، ثم قرأه وبكى ، وقال " والله إن في لسان السيد أحمد نغمة من لسان جده عليه وآله الصلاة والسلام ، ولا شك ، فهو بركة بلاد الله اليوم . انتهى من "الإرشاد" ص (36-37) ، ويأتي مزيد بيان في ص (64-73) فافطن له .] وشاعت فيها الوشايات ، وكثرت فيها

الشطحات .

وما كان ذلك إلا لإخلاصه الذي لا يتطرق إليه الشك ، ولزهده الصادق ، ولبذله النصيحة والشفقة لكل من يدين بالإسلام ، بل للإنسانية التي كان يتحلى بها ، ويدعو الناس إلى احترامها ، ولانقطاعه إلى الدعوة إلى الله ، والإرشاد إلى معالم الحق .

فعظم تأثيره في الناس ، وكثر فيها التائبون والمقلعون عن المعاصي والحياة الجاهلية التي كانوا يعيشونها .

العودة الى فهرس المحتويات

اشتغالـه بتزكيـة النفـوس :صفة تلاميذه الخلفاء :

وقد كان لخلفائه وتلاميذه ومن سار سيرته في الدعوة وتهذيب النفوس : فضل كبير في المحافظة على روح الإسلام ، وشعلة الإيمان ، وحماسة الدعوة والجهاد . قال صاحب " قرة الناظرين " (ص 53) :

" انتهت إليه الرياسة في علوم الطريق وشرح أحوال القوم وكشف مشكلات منزلاته ، وتخرج بصحبته جماعة كبيرة من أعلام الطريق ، وتتلمذ له خلق لا يحصون من أرباب الأحوال الصادقة ، وانتهى إليه عالم عظيم في كل قطر ، وتبعه جم غفير من كل جهة .

رماه المشايخ والعلماء بأبصار التبجيل ، وشهد له الخلق بالاحترام والتفضيل ، وقصد لزيارته من كل فج عميق " .

عدد مريديه وخلفائه :

كانت حلقته من خلفائه ومريديه وسيعة جداً ، لقد جاوزت العدَّ .

إن خلفاءه الذين أجازهم سيدنا الإمام الرفاعي لأخذ البيعة على إيمانهم : بلغ عددهم في منهجه الرباني الآلاف .

قال صاحب " الرموز " (ص (58)) ناقلاً عن "تحفة الأولياء" ، " وشفاء الأسقام " ، و"البراهين " ، و"ترياق المحبين " ، و"عجائب واسط")) :

[إن سيدنا الرفاعي رجع من زيارته للحرمين الشريفين إلى أم عبيدة ، وجلس في زاويته وحوله من الخلق ما لا يحصى عددهم ، ولا يعد .

أخذ منه نحو مئة ألف شخص الإجازة في الطريقة ، ولبسوا خرقة الخلافة ، وأجلسهم سيدنا الرفاعي في الأمكنة والبلدان المختلفة للإرشاد . لا تخلو مدينة من العراق خاصة من هؤلاء الخلفاء " .

قال صاحب " معجم المطبوعات العربية والمعربة " " معجم المطبوعات 1 : 947) :

" وفي كتاب ((عجائب واسط)) لابن المهذب : أن عدد خلفاء الرفاعي وخلفاءهم بلغ مئة وثمانين ألفاً في حال حياته " .

خلفاؤه الثلاثة :

كان لسيدنا الرفاعس خلفاء ، من أقرب خلفائه مقاماً لديه وهؤلاء الثلاثة : الشيخ حسن القطناني الراعي .

والشيخ مزيد الشيباني العسقلاني ، ـ والد القطب سعد الدين الجباوي ـ .

والشيخ أرسلان الدمشقي ، وهذا أكثرهم خدمة لسيدنا الرفاعي "طي السجل ص 3.2 " .

هؤلاء الثلاثة مدفونون في بلاد الشام (الجمهورية السورية) وقبورهم معروفة يزورها الصالحون ، وكذلك كان من المقربين للإمام الرفاعي كل من :

1- السيد عبد السميع الهاشمي ، الذي نقل لنا كتابة الشهير العمدة (البرهان المؤيد) السابق الإشارة إليه .

2- الشيخ يعقوب بن كراز ، وكان رغم علمه وصلاحه قد حبس نفسه لخدمة الإمام الرفاعي ، كما كان سيدنا أنس بن مالك للحبيب الأعظم المصطفى ، سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام .

3- الشيخ أبو الفرج عمر الفاروثي ، الإمام الجليل ، والشيخ النبيل ، وهو من أحد من رأى اليد النبوية عام مد اليد للسيد الكبير أحمد الرفاعي .

وذكره الإمام الرفاعي في كتابه (البرهان المؤيد) (ص 131) .

أما بقية مسترشديه ومريديه الذين لم يأخذوا منه الإجازة ، فقد بلغ عددهم إلى ما لا يحصى كثرةً .

العودة الى فهرس المحتويات

اشتغالـه بتزكيـة النفـوس :خدمته للمساكين :

كان سيدنا الرفاعي يخدم هؤلاء الضيوف ـ ضيوف الله ـ ، ويقوم بكفايتهم . قال العلامة أبن الجوزي مادحاً متعجباً ما خلاصته ((قلت في عبارته بعض تصرف ظاهر ، فافهم .وروى حال المحيا صاحب (إرشاد المسلمين) ص (39) فقال : ـ ((أخبرني والدي ـ قدس الله سره وروحه ـ إن ليلة محيا السيد أحمد بكل ليلة جمعة ينعقد ، ويجمع ميعاد المحيا المبارك أكثر من مئة ألف إنسان ، يضربون الأخبية والخيام في صحاري أم عبيدة ، ورواقه الشريف يجمع كل يوم أكثر من عشرين ألف مريد ، ويمد لهم السماط صباحاً ومساءً ، ويقوم بكفاية الزائرين جميعاً بعون الله) أنتهى) ـ ((إني رأيت في زاوية أم عبيدة ليلة نصف شعبان نحو مئة ألف إنسان ، الزاوية تقوم بكفاية الكل ، وكان التنسيق بحيث لا يتجشمه أحد ، ولا يتكبده ويتكلف له ، وهذه التشكيلات والتنسيقات لا أراها إلا كرامة ، وفي الحقيقة لا تقل عن معجزة (ذكر ذلك الإمام الفاروثي في كتابه (إرشاد المسلمين) ص 36)

العودة الى فهرس المحتويات

اشتغالـه بتزكيـة النفـوس :عنايته بالملوك والسلاطين :

لم يكتف سيدنا الرفاعي بتزكية من جلس عنده وأقام في زاويته من التلامذة ، بل التفت إلى الملوك والحكام والمعاصرين له ، وصرف عنايته إلى الأمراء والسلاطين ، فدعاهم إلى التوحيد الحق ، وأمرهم بالمعروف ، ونهاهم عن المنكر والفواحش ما ظهر منها وما بطن .

فبفضل الله الله تعالى وببركة إخلاصه أثرت كلماته فيهم ، وسخرهم الله تعالى لسيدنا الرفاعي .

وكان هؤلاء السلاطين والخلفاء يلتمسون من سيدنا الرفاعي النصيحة ، ويطلبون منه الدعاء ، وسيدنا الرفاعي يلبي طلبهم .

كتب الخليفة المستنجد بالله العباسي [هو أبو المظفر المستنجد بالله بن المقتفي لأمر الله ، ولد سنة 51. هـ ، وبويع بالخلافة بعد والده في 3 ربيع الأول لسنة 555 هـ ، وأستمر خليفة إلى أن مات في تسع من ربيع الآخر سنة 566 هـ ، فكانت خلافته 11 سنة رحمه الله (المجالس الرفاعية ص 31)] إلى سيدنا

الرفاعي كتاباً قال فيه :

بســـم الله الرحمن الرحيـم

" من أمير المؤمنين / إلى السيد العارف الزاهد الشريف الدال على الله بهدس رسوله صلى الله عليه وآله وسلم : أحمد بن الشريف أبي الحسن البطائحي العلوي ، نفع الله به المسلمين .

أما بعد :

فإني أسألك بالله أن تكثر من النصيحة لي بجوابك ، فإني في حاجة لنصيحتك وأي حاجة ، ولا ريب عندي بحصول بركة نصحك لي إن شاء الله ، فأجبني بما يفتح الله به عليك مكثراً ، فإنك مهبط الفتح اليوم ، وأسألك الدعاء لي وللمسلمين .

نصيحته للخليفة : [قلت : قال ابن الأثير في " جامع الاصول " 11:558 " النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ، وهي : إرادة الخير للمنصوح له ، وليس يمكن أن يعبر عن هذه اللفظة بكلمة واحدة تحصرها وتجمع معناها غيرها . وأصل النصيحة في اللغة : الخلوص "أ أنتهى]

وقد كتب إليه سيدنا الرفاعي بما يلي :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيد خلقه محمد عبده وحبيبه ومصطفاه .

أما بعد :

فمن الفقير إلى الله أحمد بن أبي الحسن كان الله له ، إلى الإمام الخليفة المطاع أمير المؤمنين أبي أحمد المستنجد بالله العباسي الهاشمي ، أيده الله بما أيد به عباده الصالحين ، آمين .

وصلنا كتابك الآمر بالنصيحة ، والحديث ((الدين النصيحة)) [رواه مسلم (55) في الإيمان ، عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه] . ولولا هذا الحديث لما تصدرت لنصحك ، لأن نصيحة مثلك ـ بارك الله بك ـ لها شرطان :

الإخلاص من الناصح ، والقبول بشرط العمل بالنصيحة من أخيه . أيدك الله بتوفيقه ! .

يا أمير المؤمنين : إن أنت أنفذت أحكام كتاب الله ـ تعالى وتقدس ـ في نفسك ، نفذت أحكام كتبك في ملكه ، وإن عظمت أمر الله بأتباع رسوله عليه الصلاة والسلام ، واحتفلت بشأنه الكريم ، عظم الناس أعمالك وولاة الأمور من قبلك .

ولا تنظر يا أمير المؤمنين ما عليه القياصرة وملوك المجوس من القوة في ملكهم / مع انسلاخهم وبعدهم عن كل ما ذكرته ، فإنهم جهلوا الحق فأبعدهم عنه ، وقربهم من الدنيا ، وقربها منهم ، وولاهم أمر من شاء من خلقه .

فإن ساسوهم بما تسكن إليه أفئدتهم ، وتطمئن له طباعهم ، دام أمرهم في حجاب دنياهم إلى أن تنقطع حبال آجالهم ، وإن لم يسوسوهم بالرفق والمدارة ، وأوقعوا فيهم ما يثقل عليهم ، سلطهم عليهم ، فسلب دنيا قوم بقوم ، والنار مأوى الكافرين .

وأما أنت يا أمير المؤمنين : فحافظ ثغور ، وحارث دماء وأموال ، هزت بكل مفازتها سيوف الإسلام ، لا علماً لقدومك بعد حين ، ولا تمهيداً لك لتفعل برأيك ، إنما كان ذلك لله ورسوله .

فافزع في كل أمورك إلى الله ، وعظم في كل شؤونك أمر رسول الله ، وأنت حينئذ في أمان الله وظل نبيه ،

نافذ الآمر ، ثابت السلطان ، مؤيد بجند الله وكلماته ، و] لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ[[من سورة يونس ، الآية (64)] .

ثم زن يا أمير المؤمنين كل ما يصل إلى خويصة نفسك في هذه الدار من طعام تأكله ، وشراب تشربه ، ورداء ترتديه ، وظل تستظله ، واجعل الشره على الدنيا بقدر ذلك .

وإياك وظلم العباد ، وإذا استفزك الشيطان ورام نزغك إلى الظلم ، فسل نفسك أن لو كنت مسجوناً أو مظلوماً أو مقهوراً أو مكذوباً عليك ، ما الذي تريده لنفسك من سلطانك ؟ .

وعامل الناس بما تريده لنفسك ، فإنك إن فعلت ذلك ، وفيت العدل والآدمية حقها .

واعلم أن ما أنت فيه من الملك والدولة شيء يسير من ملك الله تعالى ، وأنت جزء صغير منه ، فإن رأيت لك شيئاً ، ونسيته وقمت تفعل فعل من يزعم مشاركته في ملكه ، فأهملت حقه ، وغدرت خلقه ، يصرف عنك عونه ونصره ، ولك فيمن باد عبرة .

ولا تنظر يا أمير المؤمنين إلى من صرفهم عن مشغلة الدنيا من أحبابه المقربين إليه ، كبعض الصحابة الذين نازعهم الناس ، وانتزعوا أزمة الدنيا من أيديهم ، لأن أولئك قوم أجتذبهم إليه ، ولى على الناس من يشاكلهم في أعمالهم ، وكل عن عمله مسؤول ،] وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا [[من سورة الكهف الآية (49)] .

يا أمير المؤمنين : ظلك ما أظلك ، ورداؤك ما سترك ، وطعامك ما أشبعك ، ومالك مالك منه شيء ، و] لَيْسَ لَكَ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ [[من سورة آل عمران ، الآية (128)] ، إن ربي على ما يشاء قدير .

نعم أنت خاتم من خواتم القدر ، يطبع على أرواح الصور ، فيرفع الله به ويضع ، ويصل به ويقطع .

فإن أنت لزمت الأدب مع الفعال المطلق برعاية حق شرعه الذي شرع لعباده ، أثابك وأدار محور الوهب بك وبأهلك بعدك ، وإن أهملت أمره ، وهتكت ستر خلقه ، دخلت في أعداد الظالمين :] وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ [[من سورة البقرة الآية (27.)] .

يا أمير المؤمنين : أهل الفهم السليم والذوق الصالح تجتمع همتهم على الحق ، ويترعرعون في بحبوحة العدل والإحسان ، فكبيرهم وصغيرهم ، أميرهم ومأمورهم ، حرهم وعبدهم / في الدين سواء ، ولكل منهم مقام معلوم .

لا تشب فيهم نار الشقاق ، ولا يتحكم فيهم سلطان سوء الأخلاق . يحكمون بما أنزل الله ، ولا يزالون في أمان الله .

ولو احتالوا في الحكم فجعلوا له وجهاً في الظاهر ، وأبطنوا الباطل ، يقول لهم الحكم العدل :] وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ [[من سورة المائدة الآية (47)] .

فإذا أظهروا الباطل ، وهيئوا له سبيلاً شرعياً ، أدخلته غلبتهم وشوكتهم في الحكم : قال الحق تعالى لهم] وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ [[من سورة المائدة الآية (45)] .

فإذا أظهروا الباطل وانتحلوا له سبيلاً من الرأي استصغاراً لحكمه الشرع ، وتعززاً بالأمر ، فحكموا به ، قال لهم المنتقم الجبار :] وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ [[من سورة المائدة ، الآية44]

يا أمير المؤمنين : أروقة الأعمال لا تعمر في بأيدي الخيال ، ولا يصان حي إلا بمادة جامعة تلصق القلوب ببعضها ، وتدفع النزاع والتفرقة ، وما هي ـ والله ـ إلا الشرع العادل ، والسنة المحمدية الصالحة ، وكل ذلك أمر الله الذي طبع الطباع ، وعلم ما تطيب له وبه .

يرتاح الضعيف لطلب حقه من خصمه القوي ، وأنت تدري يا أمير المؤمنين أن أبن عمك إمام المسلمين علياً أمير المؤمنين كرم الله وجهه ، ورضي الله تعالى عنه ، حدث عن أبن عمه سيد المخلوقين أنه قال : " لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع " [رواه الطبراني ، وابن ماجة] .والأمر والله كذلك .

وعلمت يا أمير المؤمنين من سيرة عمر بن الخطاب الفاروق الجليل رضي الله تعالى عنه : أنه لم يرهب فارس والروم والمغرب والصين والهند والبربر بفرش الديباج ، وبسط الحرير وكؤوس الجوهر والخيول المسومة ، والبيوت الشاهقة ، والأقواس المذهبة ، إنما أرهبهم بالعدل المحض ، وأفحم شوس رجالهم بالحكمة البالغة ، ألا وهي شريعة نبيك سيد الحكماء ، وبرهان العقلاء ، وإمام الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ولتعلم ـ أمطر الله على قلبك سحاب الإلهام المبارك والتوفيق ، وأحكم أمرك بالأعوان الصالحين أهل الحكمة والنجدة ـ : إن الحق كامن تحت ضلوع الخاصة والعامة ، والمحق منهم والمبطل .

فربما أعانك عبدك على باطلك بيده ولسانه انقيادا لوقتك ، وأنكره عليك عبدك بسره ، وأضمر قلبه لك بعده السوء ، فلا يزكى ذكرك لديه ولو جعلته حراً ، ثم أكبرته ، ثم أستوزرته ، بل ولو كان أشد منك باطلاً ، وهذا سر الله المضمر في الحق .

واعلم أي سيدي : أن جيش الملوك / العدل ، وحراسهم أعمالهم ، ودفاتر أحوالهم عمالهم وأصحابهم ، وهذه دفاتر في أيدي العامة ، فاصلح دفتر أحوالك ، وأحكم حراستك ، وأيد جيشك .

وعليك بأهل العقل والدين ، وإياك وأرباب القسوة والغدر والضلالة فهم أعداؤك .

وصن أمرك من أن تلعب به النساء والأحداث والذين لا نخوة لهم ، فإنهم من دواعي الخراب والاضمحلال ، وإذا أحببت فحكم الإنصاف في عملك ، حتى لا تقدم غير محق ، أو ترفع بغير الحق .

وإذا كرهت فصل الله ، ونزه طبعك من جور الغدر ، فإن مكانك مكان الأمن ، يدور صاحبه مع الحق ، لا مع الغرض .

وإذا غضبت فاجنح للعفو ، فإن أخطأت فيه خير من أن تخطئ في العقوبة .

وأجعل بذلك ونوالك لأهل الدين والحكمة والغيرة للإسلام ، واختر منهم أشرفهم طبعاً ، وأكبرهم عقلاً ، وأوجزهم رأياً ونطقاً ، وأثبتهم حجة ، وأعلمهم بالله ورسوله .

وساو الناس براً وفاجراً ، مؤمناً وكافراً في باب عدلك ، واحفظ حرمة الدين وأهله ، واعمل عملاً تحسن به عاقبتك إذا لقيت ربك ، والله ولي التوفيق] إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ [[من سورة البقرة ، الآية 156] ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته [" المجالس الرفاعية " ص (38)] .

تأثير نصيحته :

قال الأستاذ السيد محمود السامرائي الرفاعي بعد نقل هذه الرسالة الشريفة : " لما قرأه الخليفة بكى ، ثم قرأه ثانية وبكى ، حتى اخضلت لحيته بالدموع ، وتأوة تأوة الثكلى ، ولما هدأ روعه ، وسكن حاله ، التفت إلى حاجبه وقال :

" والله إن في لسان السيد أحمد نغمة من لسان جده عليه الصلاة والسلام ، ولا ريب ، فهذا الرجل بركة بلاد الله اليوم"

واخذ يسأل الحاجب عن قيامه وقعوده ولباسه واكله وشرابه وكلامه وما هو عليه ، وكلما ذكر له شيئاً أكثر البكاء ، حتى أمسك الحاجب عن الكلام ، رحمه الله " [" المجالس الرفاعية " ص 38] .

العودة الى فهرس المحتويات

طريقته الرفاعية :

للأولياء مناهج ومشارب ومعارج ومعارف وشؤون
وأعزها بابن الرفاعي انطوى فكأنه مضمارها المكنون

شيخ على قدم النبي سلوكه فطريقه عن جده مسنون

وإمام صدق لو فقهت طريقه أدركت سر الشرع فكيف يكون

لا زال يمطر أرض أم عبيدة غيث الرضا وبها تقر عيون

[" طي السجل " ص 322] .

* * *

كان لسيدنا الرفاعي طريق خاص لتربية السالكين وتزكية المريدين ، ونظام خاص للتعليم والذكر ، يسمى هذا النظام والمناهج بـ " الطريقة الرفاعية " ، و" الطريقة البطحائية " ، و " الطريقة الأحمدية " [كتب الشيخ السيد إبراهيم الراوي الرفاعي ـ رحمة الله عليه ـ كتاباً مختصراً جامعاً للفوائد الكلية ، مشتملاً على جميع المقاصد المرعية ، التس تذكر مشرب السادة الرفاعية ، وأحكام طريقتهم العلية المرضية ، على أشرف الأصول وأحسن الآداب . وسمي كتابه : " مختصر القواعد المرعية في أصول الطريقة الرفاعي " . قام بطبعه ونشره السيد محمود السامرائي الرفاعي ، طبع في مطبعة دار البصري ، بغداد في عام 1388 هـ ، 1969 م ، وهو مختصر كتاب " الطريقة الرفاعية " للإمام السيد ابى الهدى الصيادي الرفاعي ، شيخ السيد إبراهيم الراوي] .

أساس الطريقة الرفاعية :
إن مباديء الطريقة العلية الرفاعية تنبع من الأصليين العظيمين ، لا تنفك عنهما بحال من الأحوال ، وهما الكتاب العزيز والسنة المحمدية ، على صاحبها الصلاة والسلام . قال صاحب " معرفة القلوب " [ص37] " أعلم أن أصول هذه الطريقة المباركة ذات أصول ثابتة في الكتاب والسنة " .
قال سيدنا الرفاعي عن هذين الأساسين لطريقته العلية :
" يا مبارك : أقتد بالقرآن المجيد ، واعمل به تسعد ، وإياك والأخذ برأيك في كتاب الله تعالى ، بل أنتفع بعلم نبيك وتفسيره وعمله ، ففي الخبر الطاهر : " صلوا كما رأيتموني أصلي " [رواه أبن حبان في " صحيحه " 4 : 541 ، برقم (1658)] .
ولا تتكل على رأيك وعملك وتفسيرك فتنزلق ، فاقتد به وأهتد بهديه ، واستنر بالسير إلى الله منه ، وخذ زاد القوم على الله عنه ، وأنت حينئذ من المفلحين " . [الطريقة الرفاعية ص 8] .
قال السيد الأستاذ عز الدين أحمد الصياد الرفاعي [تقدمت ترجمته ص (32-35)] :
" إن طريقة الكتاب والسنة "
لم يزل سيدنا الرفاعي يتبع سنن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ويقتدي به ، ويتأسى به .
قال الإمام المحدث الفاضل السيد محمد مهدي الشهير بالرواس رضي الله عنه ، في كتابه " رفرف العناية " [ص (132-133) طبعة شيخنا الجليل السيد العارف بالله عبد الحكيم عبد الباسط ، ناشر تراث سادات واسط] :

" ... فإن طريقتنا هي طريقة المصطفي عليه الصلاة والسلام , وحقيقتنا العمل بأعماله ، والتحلي بأحوال صلوات الله عليه وعلي آله ورجاله .

وقد برأ الله طريقنا هذا من لوث الدنيا الدنية ، ودسائسها الخفية ، وأخطائها الجلية .

وما هو إلا طريق يعرب عن حال محمدي ، سواء فيه عندنا العربي والعجمي ، والأبيض والأسود ، والرفيع والوضيع ، إلا في حدود الله وحقوقه .

ولم يشب منهاجا هذا ـ والحمد الله ـ بطلب أمر أو نهي دنيوي ، ولم يدنس بغرض من أغراض الأكوان ، ولم يلحقه غبار تفرح به نفوس أهل الحجاب .

وإنما كله دين ويقين ، ووقوف علي جادة السنة والسنية ، واشتغال بتهذيب القلوب الفاسدة والنفوس السقيمة ، من طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتعاون علي البر والتقوى ، والتباعد عن الإثم والعدوان .

ومعرفة قدر النبي r ، وإعظام ما كان عليه ، والعمل بسنته ، طلباً لمرضاه الله تعالي ، وفناء بمحبة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وهنا غاية المؤمنين ، وبغية الصادقين ، وإن الله مع المتقين " .

طريقتـه النقيـه :

وقد امتن الله عليه بما لم ينله أحد من أقرانه الأجلاء ، وإخوانه من كبار الأولياء ، إلا من شاء الله ، وما من عام إلا وقد خص منه البعض ، فلا تجد في طريقة الشطح والدعاوى .

فأكرمه الله بقهر النفس والتمكين الكامل ، فلا تجد فيه شيئاً يوهم بالقول بوحدة الوجود المطلقة ، أو الحلول والاتحاد ، والتفريق بين الظاهر والباطن ، وفتنه الرموز والأسرار والعلم الدفين ، أو سقوط التكليف الشرعية عن الكاملين والواصلين ، واستثنائهم من الأحكام الشرعية ـ والعياذ بالله ـ .

ولا تجد فيه إسناد القطع والوصل ، والتأثير بالقول والفعل للمخلوق ، بل طريقته العالية تمضي بسالكيها إلي اتباع القرآن الحكيم ، واقتفاء آثار النبي الكريم صلي الله عليه وآله وسلم ، والوله به , والحث علي محبته ومحبة إخوانه وآله الكرام وأصحابه الأعلام ، وتعظيم التابعين ، وتابعي التابعين ، والأولياء الصالحين ، المتقدمين منهم والمتأخرين ..

والحث علي نفع المسلمين ، وإرادة الخير لجميع الآدميين ، والبر بكل المخلوقين ، والمحافظة في جميع عقبات الطريق حالة السير فيه علي السنة النبوية ، التباعد عن المنهيات .

وقد استجمع طريقة المبارك أسرار الحكم النظرية ، والحقائق المعنوية ، والبراهين الباهرة ، والآثار الطاهرة والظاهرة وقد أوضح الطريقة المحمدية ، والمحجة النبوية ، ونصر السنة ، وقمع البدعة .

الطريقة السعيدة :

قال الإمام المحدث الفاضل السيد الشيخ محمد مهدي الصيادي الرفاعي الحسيني الشهير بالرواس رضي الله عنه ، في ديوانه ((مشكاة اليقين)) [ص318-321] ، عن الطريقة الرفاعية ودقائق أحوالها ، وأسرارها وأخبار نظماً : ((

طـريقتنـا للخارقـات وسيلـة وللكف عن كل الوجودات سلم
طريقتنا من أخلص القلب ضمنها غدا بضمان الله يحبى ويكـرم

طريقتنا من راح يحكـم حكمهـا بصدق على أهل القلوب يحكم

طريقتنا تنجي الفؤاد من الغوى وتحفظـه مـن زيغه وتسلـم

طريقتنـا مأمونـة الحال سنـة ومضمونها في كل نقـل مسلم

طريقتنـا حـال النبـي وطوره وعـن سـره للعارفين تترجم

طريقتنـا صـدق وزهـد ورأفة وذل إلى المـولى ونهج مقوم

طريقتنـا أن تصلح العبد صحبة فنحن سكوت والهـوى يتكلـم

طريقتنـا أن يجعل الشرع سلماً أجل ! وبه السلاك ترقى وتعظم

طريقتنـا قلـب سليـم و نيـة مطهـرة أنف المـآمل ترغـم

طريقتنـا ذكر بـلا عـدد على موارد أنفـاس تمـر وتنظـم

طريقتنـا أن لا نرى الغير فاعلاً سوى انه الرحمن يعطى ويحرم

طريقتنـا أن نشـهد الله حاكماً له الأمر في الأمرين يقصـي ويرحم

طريقتنـا حـب النبـي وآلـه وأصحابه ، والذكـر للخيـر عنهم

طريقتنـا إعظـام كل مقـرب من القوم ، لكن شيخنا الفرد أعظم

طريقتنـا نهـج الجنيـد تحققاً بمشربه ، إذ ناكث العهد يقصم

طريقتنـا ذوق وشوق وعبـرة وعبرة عين دمعها كله دم

طريقتنـا جـد وجهـد ولوعة وخلـوة صـدق خالـص وتكتـم

طريقتنا أن لانرى الشق للعصا فـإن مـوالاة الجمـاعة ألـزم

طريقتنـا ود لـكـل مـوحـد وأن نسدي إحساناً لمن هو مسلم

طريقتنـا بالآدميين رحـمـة كما أمر الهادي الرسول المكرم

طريقتنـا أن نشهد الخلق كلهـم بخير ، وان نزوي الأذية عنهم

طريقتنـا محو الرياء وطرحـه وحفظ نظام الصدق إذ نتكلم

طريقتنـا صون الجوارح كلهـا فإن سؤال الحشـر بالصون ملزم

طريقتنـا أن نجذب القلب دائمـاً إلى الله بـل في ذكـره نترنـم

طريقتنـا أنـا نمـر زمـاننـا ونحن على مهـد التكتـم قـوم

طريقتنـا أن نجعـل السر رقعة وفيها سطـور الصـدق لله نرقم

طريقتنـا دوم الهيـام تولهـا وهل مرتضى المحبوب إلا المهيم

طريقتنـا وجه مع الناس حاضر وقلـب بذكر الههه لا يتلعثـم

طريقتنـا إعظـام شـأن محمد كمـا هـو فهـو الهاشمي المعظم

طريقتنـا أنـا على كـل رمشة نصلـى عليـه نيـة ونسـلم

طريقتنـا نهـج الرفاعـي أحمد فمنهاجه من جملـة القـوم أقـوم

طريقتنـا أن نمـلأ العين دمعة إذ الناس في فرش البطالة نوم

طريقتنـا أن نبـد في الله شـدة ونبغض فيه من به الزيغ يرسم

طريقتنـا نصـر المحق وغوثه وإذلال من للنـاس يؤذي ويظلم

طريقتنـا إكرـام شيـخ لسنـه ورحمة طفل ، إنما الطفل يرحم

طريقتنـا الإيثـار والبذل دائماً بلا ريبـة ، والله أغنى وأكـرم

طريقتنـا هجر الكذوب وتركـه وحب صدوق ، هكذا القوم ألزموا

طريقتنـا غسل الفؤاد من الهوى ومـن بعـده وفقـاً له نتوسـم

طريقتنـا رد الفراسـة للـذي به الشرع يقضـي في الأمور ويبرم

طريقتنـا إن جاء بالصدق وارد نحكمـه فـي أمرنـا ونسلـم

طريقتنـا التحكيم للنص بالذي به في الإشارات الغوامض نلهم

طريقتنـا من ربنا الأخذ بالرضا يؤخـر منـا أمرنـا أو يقـدم

طريقتنـا التسلـيم للمرشد الذي لأحكامه التسليم في السير أسلم

طريقتنـا إعزاز من شـاد سنة بها ركن زيغ في البرية يهدم

طريقتنـا أن لا نقـول بوحـدة ولا بحلول ، والمصيبـة أعظم

طريقتنـا أن نحفظ الشرع ظاهراً وهذا هو السر الخفي المطلسم

طريقتنـا رد الشطوحات كلـها إذ لم يكن منها المؤول يفهـم

طريقتنـا أن يأخذ القلب عبـرة ولو من هبوب الريح إذ يتنسم

طريقتنـا أن نتبع النص خضعاً وإن جاء طيشـاً غيره لا نسلم

طريقتنـا أن الكرامات لم تزل بأيدي رجال الله تبدو وتنظم

طريقتنا أن الخوارق سهمهم لمن كان حياً والذي مات منهم

طريقتنا أن المؤيد واحدُ ويفعل دهراً ما يريد ويحكم

طريقتنا أن البدايات كلها بتصريف أمر الله تبدو وتختم

* * *

وقال أيضاً من قصيدة عامرة ، كما في ديوانه ((معراج القلوب إلى حضرات الغيوب)) [قلت : الباب السابع ، ص 499 ، طبعة الشيخ الجليل السيد عبد الحكيم عبد الباسط ، ناشر تراث سادات واسط ، رضي الله عنه] : ((

طريقنا هداية قامت به العناية

ونوبة الولاية بنا لختم الدهر

طريقنا و ديعة من صاحب الشريعة

آياتنا سريعة على العدا كالجمر

طريقنا الله لا لاكتساب الجاه

عن أحمد الأواه أتى كعقد الدر

طريقنا شهود فارقه الوجود

حلت به القيود لخالص ذي فكر

طريقنا طريقة أوضحت الحقيقة

لمرشد الخليقة تسري بذاك الإثر

طريقنا معاني صحيحة المباني

عن صاحب المثاني سر الوجود الطهر

طريقنا طرائق في دورة الحقائق

روى عن الخلائق قلوب أهل السير

طريقنا رفاعي مؤيد المساعي

عن مرعب السباع جلا شؤون البر

طريقنا مبناه ما فيه إلا الله

فخذ إذاً معناه بنظمنا والنثر

[قلت : حسن أن نذكر هنا للمناسبة بعضاً من القواعد التي بنيت عليها الطريقة الأحمدية الرفاعية ، وهي كما ذكرها الإمام الفاضل المحدث السيد الرواس في كتابه ((رفرف العناية)) ص (142-149) حيث قال : ((قال شيخ مشايخ الإسلام ، سيد الصديقين في زمانه ، الإمام السيد أحمد الرفاعي الحسيني رضي الله عنه وعنا به : أقمت بناء طريقي على خمس وخمسين خصلة ، يؤيدها خمس وخمسون آية ، يعضد بعضها بعض شيء من الآيات الفرقانية والآثار النبوية لابد للعبد منها ، ولا غنى له عنها ، وهي :

معرفة الله تعالى ، لقوله تعالى :) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي (أي : ليعرفون .

والإقرار بالربوبية ، لقوله تعالى :) وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ [، و :) قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(1)اللَّهُ الصَّمَدُ(2)لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(3)وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (

والوفاء بعهد الله تعالى ، لقوله تعالى :) وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِي (.

والإخلاص بالعبودية ، لقوله تعالى :) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (، وقال) فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (.

وطاعة الله وطاعة الرسول (r) وأولي الأمر ، لقوله تعالى :) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ (.

والإيمان بوعد الله تعالى ، لقوله تعالى :) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا (

والرضا بقسمة الله تعالى لقوله تعالى :) نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (

والحب في الله ، والبغض في الله ، لقوله تعالى :) لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ (.

ومعرفة النفس ومحاربتها ، لقوله تعالى :) إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ (.

ومحاربة ةالشيطان لقوله تعالى :) إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً (. أي : حاربوه .

والخوف من الله في كل حال ، لقوله تعالى :) ولا تخشوا الناس واخشون (، وقال تعالى :) وإياي فارهبون (، وقال تعالى :) يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم (.

والدعاء والتضرع إلى الله تعالى ، لقوله تعالى :) ادعوا ربكم تضرعاً وخفية (، وقال الله تعالى :) ادعوني أستجب لكم (

وعدم الأمن من مكر الله تعالى ، لقوله تعالى) فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون (.

وعدم القنوط من رحمة الله لقوله تعالى :) لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم (.

وستر العورة ، لا سيما وقت أداء الصلاة ، لقوله تعالى :) خذوا زينتكم عند كل مسجد (. فالمراد بالزينة / ما يواري به العورة . وعورة الرجال ما تحت السرة إلى الركبة ، وإن لم يجد لباساً صلى عرياناً ، لقوله تعالى :) لا يكلف الله نفساً إلا وسعها (.

وطلب العلم لقوله تعالى :) كُونُوا رَبَّانِيِّينَ (. أي كونوا علماء فقهاء وقال الله تعالى :) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا (أي : علموهم دينهم ، وقال عليه السلام : ((طلب العلم فريضة على كل مسلم)) .

والوضوء ، لقوله تعالى :) يا أيها الذين ءامنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين (. أي : إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم محدثون ، فاغسلوا هذه الأعضاء .

والغسل من الجنابة ، لقوله تعالى :) وإن كنتم جنباً فاطهروا (.

والتيمم لقوله تعالى :) فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً (.

والصلوات الخمس ، لقوله تعالى :) إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً (أي فرضاً مؤقتاً ، على المقيم أربع ركعات ، وعلى المسافر ركعتان ، إلا المغرب فإنها ثلاث ركعات .

وذكر الله تعالى ، لقوله تعالى :) اذكروا الله كثيراً (يعني : بالليل والنهار .

وإعطاء الأمانة إلى أهلها لقوله تعالى :) إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها (.

وترك الفرح لقوله تعالى :) ولا تفرحوا بما ءاتاكم (، وقال الله تعالى :) إن الله لا يحب الفرحين (.

وترك الحزن على فوات الدنيا لقوله تعالى :) لكيلا تأسوا على ما فاتكم (.

والتفكر ، لقوله تعالى :) يا أولي أولي الأبصار (.

وترك هوى النفس ، لقوله تعالى :) ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله (وقال الله تعالى :) وأما من طغى (24)وءاثر الحياة الدنيا(25) فإن الجحيم هي المأوى (، وقال الله تعالى :) أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً (وقال الله تعالى :) وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى(4.) فإن الجنة هي المأوى (.

ومعرفة منة الله بالإيمان والإسلام ، لقوله تعالى :) بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين (.

والإيمان بأن الله تعالى مطلع في كل حين ، لقوله تعالى :) وما يعزب عن ربك مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء (.

والتوبة من الذنوب ، لقوله تعالى :) توبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون (وقال الله تعالى :) يا أيها الذين ءامنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً (.

وصدق الكلام ، لقوله تعالى :) وإذا قلتم فاعدلوا (وقال الله تعالى :) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (.

وأكل الحلال لقوله تعالى :) كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً (

وحفظ العينين والفرج والأذنين من الحرام ، لقوله تعالى :) قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم (وقال الله تعالى :) وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن (وقال تعالى :) إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً (.

وترك الغيبة والاستهزاء ، لقوله تعالى :) لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم (.

وترك اللقب ، لقوله تعالى :) ولا تتنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان (.

والاجتناب عن سوء الظن ، لقوله تعالى :) يا أيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيراً من الظن (.

والاجتناب عن التجسس ، لقوله تعالى :) ولا تجسسوا (.

والتوكل على الله ، لقوله تعالى :) وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين (وقال الله تعالى :) ومن يتوكل على الله فهو حسبه (، وقال الله تعالى :) وتوكل على الحي الذي لا يموت (، وقال بن عباس رضي الله عنهما : التوكل / اتكال القلب على الله تعالى بالانقطاع عما دونه .

والرضا بقضاء الله ، لقوله تعالى :) واصبر لحكم ربك (.

والصبر على الشدة ، لقوله تعالى :) يا أيها الذين ءامنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون (.

وبر الوالدين ، لقوله تعالى :) أن اشكر لي ولوالديك (، وقال تعالى :) وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً (.

والشكر لنعم الله تعالى ، لقوله تعالى :) واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون (. والشكر : الطاعة بجميع الجوارح .

وترك الربا، لقوله تعالى :) لا تأكلوا الربوا أضعافاً مضاعفة (.

والإنفاق بالقسط في الفقر والغنى ، لقوله تعالى :) والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً (، وقال الله تعالى :) وءات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً (. التبذير : هو الإنفاق في غير طاعة الله تعالى ورسوله (r) .

وترك المن والأذى في الصدقة ، لقوله تعالى :) لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى (.

وعدم قرب النساء في الحيض ، لقوله تعالى :) فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن (.

وترك التكبر والعجب والفساد ، لقوله تعالى :) تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين (.

وترك الخوف من الفقر ، لقوله تعالى :) الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم (.

وعدم تسليم المال للصبيان أو النساء والخوان ، لقوله تعالى :) ولا تؤتوا السفهاء أموالكم (.

والمحافظة على الصلوات الخمس بأوقاتها ، لقوله تعالى :)حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى (.

والاستقامة على مذهب أهل السنة والجماعة ، لقوله تعالى :) وأن هذا صراطى مستقيما (، ولما ورد : ((من فارق الجماعة قيد شبر فقد انخلع من حبل الإسلام)) .

والملازمة بالموافقة على السواد الأعظم ، لقوله تعالى :) واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا (، ولقوله عليه الصلاة والسلام : ((عليكم بالسواد الأعظم ، فإن من شذ شذ في النار)) .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لقوله تعالى :) الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر (.

وإعطاء الزكاة ، لقوله تعالى :) إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (، وقال تعالى :) وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة (، وقال سبحانه :) فإن تابوا وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فإخوانكم في الدين (.

وصوم رمضان ، لقوله تعالى :) يا أيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام (ولقوله ـ r ـ : ((بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان) .

وحج بيت الله الحرام ، لقوله تعالى :) ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً (، ولقوله ـ r ـ : ((يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج ، فحجوا)) .

والدعوة إلى الله تعالى بالرفق واللين ، لقوله تعالى :) ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (، ولقوله ـ r ـ : ((بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) . وقد روي عن أمير المؤمنين سيدنا علي كرم الله وجهه ، ورضي عنه ، ومثله قال أنس رضي الله عنه : ((كان رسول الله (r) أحسن الناس خلقاً)) . وقد أثنى عليه الله ـ جل جلاله ـ فقال ـ سبحانه وتعالى ـ بشأنه :) وإنك لعلى خلق عظيم (.

صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

وعلى هذه الأحكام انعقاد وثيقتنا ، وأساس طريقتنا ، والله يتولى الصالحين . انتهى كلامه الشريف .

ومنه يفهم السالك أحكام هذه الطريقة ، وأسرار هذه الوثيقة ، وولي العون والعناية هو الله ، ولا إله إلا الله)) . أنتهى كلام السيد الرواس رضي الله عنه .

قلت : وقد أفرد لهذه القواعد شيخ الإسلام ، السيد العلامة أبو الهدى الصيادي الرفاعي الحسيني ثم الخالدي رحمة الله عليه / كتاباً فذاً نافعاً ماتعاً في بابه ، ومنه نجمل هذه القواعد فنقول :

((ومن أحكام هذه الطريقة العلية الأحمدية الرفاعية : إحكام جانب التوحيد ، والتحقق بمعانيه ، وتعظيم كتاب الله تعالى بالأخذ بأحكامه الكريمة ، وامتثال أوامره العظيمة ، والإيمان بكل ما جاء به رسول الله (r) .

ودوام حضور القلب واستعمال اللسان بذكر الله سبحانه وتعالى بغير عدد .

والأخذ بعقيدة السلف ، والأدب مع الخلف ، ومحبة آل النبي (r) وذراريه الطاهرين ، وإعظام مقادير أصحاب النبي (r) ، وتوقير جميع الأولياء الصالحين .

ورد القول بالوحدة المطلقة والحلول ، بل ورد الشطحات والدعاوي العريضة ، وموافقة إمام من الأئمة الأربعة الكرام ، أصحاب المذاهب المتبعة في الإسلام .

وعدم القول بتصرف الأرواح وسريان الهمم استبداداً للأحياء وللأموات ، والإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى .

والتفكر في مصنوعات الله تعالى وآلائه سبحانه ، والكف عن التفكر في الذات والخوض في الصفات .

وذكر الله سبحانه وتعالى مع الإخوان بالجهر التام وحسن الانتظام ، والذكر منفرداً خفية ، وعدم التلبس بثوب شهرة .

والمبايعة في طريق الحق ، والإهتمام بالتخلق بخلق النبي (r) ، وحماية القلب من الغفلة ، وحفظ قدر النعمة

لكل منعم ، قلت أو جلت .

وقراءة القرآن ، وطلب العلم لوجه الرحمن .

والاجتماع على ذكر الله تعالى ، والتحلق للذكر وافتتاحه بشيئ من الصلاة والسلام على رسول الله (r) ، وعلى إخوانه النبيين والمرسلين وآل كل وصحب كل أجمعين .

والقيام للذكر والحادي يسمعهم مدح المصطفى عليه الصلاة والسلام ، والأنبياء العظام ، والآل والأصحاب الكرام ، والأولياء والصالحين .

واتخاذ حرفة للمعيشة من طريق حل ، والأخذ بما يعني ، والترك لما لا يعني من كل قول وعمل ، وتطبيق ما ينقل عن القوم على قانون الشريعة المطهرة .

وأخذ وثيقة السند التي تعرب عن الاتصال من المجاز بعقد بعد عقد في السلسلة إلى النبي.

وإعظام شأن مؤسسها وناشر أعلامها ومحكم نظامها ، سلطان الأولياء ، السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه .

وإعظامه لأسباب كثيرة منها :

أنه بضعة من رسول الله (r) بالنسب الوضاح ، الذي طلع في سماء السيادة طلوع الصباح .

ومنها : تمسكه كل التمسك بسنة المصطفى (r)

ومنها : شدة شفقته على خلق الله تعالى على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم ومذاهبهم ومشاربهم .

ومنها : تواضعه وذله وانكساره لله تعالى ، وشدة كرمه وجوده ، وعلو همه ، وتواضعه للناس ، وقهره نفسه ، وعدم رؤيته لنفسه على غيره مزية .

ومنها : صبره على الأذى ، وتحمله أثقال الناس ، ووقوفه في كل ذلك مع الحق ، وترفعه عن هذه الدنيا .

ومنها : حسن تربيته للناس بالحكمة الكاملة ، والمعارف الشاملة ، والأطوار المحمدية ، والمناهج النبوية ، وكثرة كرامته ، وعظيم خوارقه ، وصدق حاله ، وجليل كماله ، وباهر أقواله ، وشريف خلاله ، وجميل خصاله .

ومن أحكام الطريقة أيضاً : القول بإجلال الإمام الرفاعي رضي الله عنه / على إخوانه الأولياء رجال الخرقة كلهم ، مع حفظ حقوقهم ومقاديرهم ، والأعتراف بكونهم إخوانه ، وكلهم على هدى)) انتهى ملخصاً من كتاب ((الطريقة الرفاعية)) للسيد أبي الهدى ، رحمة الله عليه]

العودة الى فهرس المحتويات

اشتغاله بالمواعظ والخطب

التأثير القوي :

لم يكن سيدنا الرفاعي يكثر المواعظ والخطب (كان لسيدنا الرفاعي شغف خاص بالتدريس والتعليم وتزكية النفوس ، ولذلك قلما يلتفت إلي غير ذلك) : ولكنه مع ذلك كان خطيباً بارعاً ، ومتكلماً كبيراً ، وكان في كلامه تأثير عظيم قوي يدخل في أعماق قلوب السامعين ، فيرتكز فيها .

انتفع بخطبه ومواعظه الرقيقة المرققة أهل العراق خاصة ، وكل من حضر في مجلسه عامة من أهل البلدان المختلفة ، وعظم تأثير هذه الخطب والمواعظ ، فتغيرت حياة ألوف الناس ، وكثر التائبون والمقلعون عن المعاصي والحياة الجاهلية التي كانوا يعيشونها ، وانطلقت موجه الإصلاح ببركة مواعظه ، واهتدي بمواعظه خلائق لا يحصيهم إلا الله ، وذاقوا حلاوة الإيمان ، وتحلوا بحقيقة الإسلام .

اطلاعه الكامل علي عصره :

كان سيدنا الرفاعي قد نشأ نشأة دينيه صالحة ، وعاش بين الصالحين والعارفين ، ولكنه كان متصلاً بالمجتمع اتصالاً وثيقاً ، وقد درسه دراسة عميقة .

كان واسع الاطلاع علي المدينة في عصرة وأساليب الحياة وأجواء الطبقات .

ومما جاء في " البرهان المؤيد " ـ مجموعة كلامه ـ من ذكر أخلاق الطبقات المختلفة ، يدل دلالة واضحة علي قوة ملاحظته ودقة نظره .

قرن ازدهار التصوف وموقف الإمام الرفاعي من أدعياء التصوف والمبتدعين :

في القرن السادس الهجري برز بعض المتصوفين الذين ابتدعوا الظاهر والباطن ، وفتنه الرموز والأسرار ، والعلم الدفين ، وسقوط التكاليف عن الكاملين والواصلين ، واستثناءهم من الأحكام الشرعية .

وكان هؤلاء المتصوفين المبتدعين سيطرة علي عقول الناس .

دفاعه عن الشريعة والتصوف السني السلفي :

قام سيدنا الرفاعي بهذا الحمل الثقيل ، وحاربهم ، وقاوم نفاقهم بقوته الإيمانية وبقوته الخطابية التي أكرمه الله بها .

فقام بتأييد الشرع وتوقير العلماء والفقهاء ، ونصر الدين نصراً قوياً ، ودافع عنه دفاعاً منيعاً / بعمله وكلامه ومؤلفاته ومواعظه وخطبه.

حتى إذا سأله أحد عن الوصول إلي الكمال في الأخلاق قال : "تعظم أمر الله ، وتشفق علي خلق الله ، وتقتدي بسنة رسول الله r " .

(" شذور الذهب " ص (46) ، و " ومقالات إحساني " ص (195) .

قال مرة في مجلسة عن بعض المتصوفين (كما في " البرهان المؤيد " ص (78-79) .) : " لا تقولوا كما يقول بعض المتصوفة " :

نحن أهل الباطن ، وهم أهل الظاهر .

هذا الدين الجامع باطنه لب ظاهره ، وظاهرة ظرف باطنه ، لولا الظاهر لما بطن ، لولا الظاهر لما كان ولما صح .

القلب لا يقوم بلا جسد ، بل لولا الجسد لفسد ، والقلب نور الجسد.

هذا العلم الذي سماه بعضهم : بعلم الباطن . هو : إصلاح القلب ، فالأول عمل بالأركان ، وتصديق بالجنان .

إذا انفرد قلبك بحسن نيته وطهارة طويته ، وقتلت ، وسرقت ، وزنيت ، وأكلت الربا ، وشربت الخمر وكذبت ، وتكبرت ، وأغلظت القول ، فما الفائدة في نيتك وطهارة قلبك ؟ .

وإذا عبدت الله ، وتعففت ، وصمت ، وصدقت ، وتواضعت ، وأبطن قلبك الرياء والفساد ، فما الفائدة من عملك ؟ .

فإذا تعين لك أن الباطن لب الظاهر ، والظاهر ظرف الباطن ، ولا فرق بينهما ، ولا غني لكلاهما عن الآخر :

فقل : نحن من أهل الظاهر . وكأنك قلت : ومن أهل الباطن .

قل : نحن من أهل ظاهر الشرع ، وقد ذكرت باطن الحقيقة .

أي حالة باطنة للقوم لم يأمر ظاهر الشرع بعملها ؟ أي حالة ظاهرة لم يأمر ظاهر الشرع بإصلاح الباطن لها .

لا تعملوا بالفرق والتفريق بين الظاهر ، فإن ذلك زيع وبدعه .

لا تهملوا حقوق العلماء والفقهاء ، فإن ذلك جهل وحمق .

لا تأخذوا بحلاوة العلم وتبطلوا مرارة العمل ، فإن تلك الحلاوة :

] إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا [(من سورة الكهف ، الآية 3.).

نص القرآن يشهد لكم بالمكافأة علي الأعمال .

والإخلاص أن يكون العمل لله ، لا لدينا ولا لآخره ، مع حسن الظن به ـ سبحانه وتعالي ـ في كل حال من الأحوال ، وعمل من الأعمال ، وقول من الأقوال ، إيماناً به ، وامتثالاً لأمره , وطلباً لمرضاته " .

وقال (في " البرهان " ص 69) : " كونوا مع الشرع في آدابكم كلها ، ظاهراً وباطناً ، فإن من كان مع الشرع ظاهراً وباطناً ، كان الله حظه ونصيبه ، ومن كان الله حظه ونصيبه ، كان من أهل مقعد صدق عند مليك مقتدر " .

وقال (في " البرهان ص 8. – 81) : " مجلس علم أفضل من عبادة سبعين سنة ، أي : من العبادات الزائدة عن المفروضات التي يتعبد بها بغير علم :] قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ [(من سورة الزمر ، الآية 9) ,] أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ [(من سورة الرعد ، الآية 16) .

أشياخ الطريقة ، وفرسان ميادين الحقيقة ، يقولون لكم : خذوا بأذيال العلماء .

لا أقول لكم : تفلسفوا ، ولكن أقول لكم : تفقهوا ، " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " (أخرجه مالك 2 : 9..-9. ، وأحمد 4 : 92-93 ، والبخاري (71) ، ومسلم (1.37) ، وابن ماجه (221) .

ما اتخذ الله ولياً جاهلاً ، ولو اتخذه لعمله (قلت : أي : لو أراد اتخاذه ولياً ، لعلمه ثم اتخذه ولياً . وليس هذا بحديث ثابت ، ولكن معناه صحيح . انظر " المصنوع في معرفة الحديث الموضوع " ص (1.6) ، برقم (269) ، للقاري .)

الولي لا يكون جاهلاً في فقه دينه ، يعرف كيف يصلي ، كيف يصوم ، كيف يزكي ، كيف يحج ، كيف يذكر

، يتقن علم المعاملة مع الله.

فمثل هذا الرجل وإن كان أمياً فهو عالم ، ولا يقول له : جاهل إلا من جهل العلم المقصود .

ليس العلم علم البديع والبيان والأدب الذي عناه الشعراء / والجدل والمناظرة .

العلم المختصر : علم ما أمر الله به ، ونهي عنه .

والعلم الجامع الأتم : علم التفسير والحديث والفقه .

والفنون اللفظية ، والقواعد النظرية التي وضعت ، وسماها واضعوها علوماً ، هي فنون ، تدخل تحت قول القائل : العلم بالشيء ولا الجهل به .

صموا أسماعكم عن علم الوحدة وعلم الفلسفة وما شاكلهما ؛ فإن هذه العلوم مزالق الأقدام إلي النار ، حمانا الله وإياكم .

لا تقطعوا الوصلة مع العلماء ، جالسوهم ، خذوا عنهم ".

وقال (في " البرهان " ص 113) : " أي أخي عليك بملازمة الشرع بأمر الظاهر والباطن ، وبحفظ القلب من نسيان ذكر الله ، وبخدمه الفقراء والغرباء ، وبادر دائماً بالسرعة للعمل الصالح من غير كسل ولا ملل ، وقم في مرضاه الله " .

يا ولدي ، كن صوفياً ، ولا تكن صوفياً منافقاً فتهلك .

وظل سيدنا الرفاعي قائماً بتأييد الشرع وتوفير العلماء والفقهاء ، والقول بأهمية العلوم الظاهرة الدينية ، ومحارباً للمعتقدات الباطلة والدعاوى المفسدة والشطحات المضلة .

قال صاحب " البنيان المشيد " (ص 9 ، الشيخ ظفر عثماني ، وهو ترجمة للبرهان باللغة الأردية) عن صفته هذه :

" الشيخ الرفاعي شمر عن ساق الجد في محو مضلات المتصوفين الخداعين / طوال حياته " .

وقال الشيخ ظهير الدين القادري في كتابه " الفتح المبين " (ص 132) : " كان سيدنا الرفاعي يحض علي الاتباع ، وينعى علي أهل الابتداع " .

العودة الى فهرس المحتويات

صفة خطابته :

يقول الشيخ عبد الكريم الرافعي (في مختصر " سواد العينين " ص (73) ، طبعه الشيخ الجليل السيد عبد الحكيم عبد الباسط ، ناشر تراث سادات واسط ، رحمه الله عليه .) عن صفة خطاب سيدنا الرفاعي :

" أخبرني الشيخ الكبير جندل أبو محمد : أن الشيخ ظاهراً المقدسي قال له : حضرت مجلس وعظ السيد أحمد الرفاعي في أم عبيده ، فسمعته يقول كلاماً عجيباً له العقول ، وتذهل له الألباب " .

ويتحدث العلامة عبد الوهاب الشعراني عن كيفية خطابه فيقول (في " الطبقات الكبرى " ص 123) :

" وكان ـ رضي الله عنه ـ إذا صعد الكرسي لا يقوم قائماً ، وإنما يتحدث قاعداً ، وكان يسمع حديثه البعيد

مثل القريب ، حتى إن أهل القرى التي حول أم عبيدة كانوا يجلسون علي سطحوهم يسمعون صوته ، ويعرفون جميع ما يتحدث به ، حتى كان الأطرش والأصم إذا حضروا يفتح الله أسماعهم لكلامه (قال الأستاذ السيد محمود السامرائي : " كان السيد الرفاعي إذا ألقي الدرس والوعظ يسمعه القاصي كالداني ، والأصم كالسليم " " المجالس الرفاعية " ص 37) .

وكان أشياخ الطريق يحضرونه ، ويسمعون كلامه ، وكان أحدهم يبسط حجره فإذا فرغ سيدي أحمد ـ رضي الله عنه ـ ضموا حجورهم إلي صدورهم ، وقصوا الحديث إذا رجعوا علي أصحابهم علي جليته " . انتهي .

والعلامة الشعراني يجيب عن سماع البعيد والأصم وغيرهما كلامه كما لو لم يكن هناك مانع من ذلك فيقول (كما في " الطبقات الكبرى " 1 :123) :

" قلت : وهذا يشبه ما وقع لإبراهيم الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ من النداء لما بني البيت ؛ فإنه قال : يا رب كيف أسمع جميع الخلائق؟ .

فأوحي الله تعالي إليه : عليك النداء ، وعلينا البلاغ .

فنادي إبراهيم بالحج ، فأجابوه في الأصلاب من سائر أقطار الأرض ، البعيد مثل القريب ، فالإبلاغ من الله تعالي ، لا من إبراهيم ، فإن البشرية لا تقدر علي ذلك " .

العودة الى فهرس المحتويات

خطبـه مؤثـرة بليغـة :

وها نحن نقدم خطبة من خطبه البليغة المجلجلة .

صعد سيدنا الرفاعي الكرسي ثالث رجب ، سنة (577هـ) بأم عبيدة ، وكان بين سواري الرواق خمسة آلاف محدقين ، وبأيديهم المحابر لكتابه ما يقول .

فلما هدأ علي كرسيه ، أطرق قليلاً ، ثم رفع رأسه المبارك ، والتفت يميناً وشمالاً ، ثم أقبل بوجهه الطاهر علي الناس وقال :

بسـم اللـه الرحمـن الرحيـم

الحمد الله الذي وفقنا لما كلفنا ، ففاهت ألسنتنا بحمده ، وكان ذلك من محض كرمه ، والصلاة والسلام علي شفيعنا السيد الأعظم أشرف المرسلين محمد ، الذي من الله علينا برسالته ، وكتبنا بقلم فضله من أمته وخدمه .

ورضي الله عن العترة والقرابة والوزراء الأقربين ، وجميع الصحابة والأولياء العارفين والعلماء العاملين ، والسلام علينا وعلي عباد الله الصالحين .

أما بعد ، أي سادة ؛ سلطنة الإلهية قائمة فردانيتها في كل ذرة بارزة ومطموسة ، والذرات مقيدة في وهده حجبها ومعذورة ، غير الثقلين .

ما أجهل الإنسان ! ما أظلمه ، هذا إذا جهل من أوجده ، وأهمل سلطانه .

ما أفضل الإنسان ! ما أكرمه ! هذا إذا عرف ربه ، وشهد إحسانه.

أيها الإنسان ، بأي شئ تروم إقامة الدليل بعقلك علي واحدية مولاك وأحديته ؟

هذا وجودك القائم بك ، معك آية فيك تكفيك ، يدق عرقك من كلياتك / ويسرى معك في جزئياتك ، ويدور بريد التدبير في ذراتك .

وكل نقطة من دمك في محلها مع اتحاد نوعها / مختلفة الصفة ، وكل نثره من بللك مع وحده عينيها مضادة أختها في نسقها .

بلل ريقك غير نثره بلل عينيك ، نثره رشح ريقك ، غير نثره رشح أذنك ، صماخ أنفك ، غير صماخ إبطك .

منبت شعرك ، كل مغرس منه مع وفاق الشكل ، مختلف في النسج والمثل .

هبطات فكرك في صحف قلبك ، غير ما سقته إلي حافظتك ، غذاؤك جدل لك في منافس وجودك أنواعاً حالة كونه نوعاً واحداً .

لا تقل : منوع العينات ، ولذلك اختلفت مجدولاته . لو كان كذلك لا ختل النظام بنسبة اختلال الأغذية .

عظمك في مواطن منك تختلف عوارضه ونتائجه ، وجلدك حالة كونه ظرفك ، ناصعة مادته بمظروفه علي دقائق نسجه ، وفيه غرائب النظم الخلقي ما لو جرد عن المظروف ، ونشر علي آله كشافة ، لأعيا فهمك عن الوصول لحقيقة ظاهرة ، لما فيه من فتوق النسج القائمة بسلامتك ، المناسبة لنظام وجودك هذا الإفتاق منها تدركه لو ذكرته لك , ما شاء الله كان .

أي آدمي ! فتق أنفك ، أعطاك الشم ، وفتق أذنيك ، أعطك السمع ، وفتق فمك ، أعطاك في لفيفه مجموعة الطعم ، وفتق عينيك ، أعطاك البصر .

وهذا جلدك فيه فتوق كثيرة ، ألوف مؤلفه ، تأخذ الهواء ، وتدفع الأبخرة ، وتجمع الخصلات (أي : الرطوبات ، كما في " القاموس " 3 : 379 ، مادة " الخضل ") المجتمعة من الهواء والأبخرة فتوقعها علي منصة الاعتدال صمن دائرة تركيبك .

زبده دماغك ، فيها عاقلتك ومفكرتك ، زبده ساقك ، فيها قوه اعتدالك ، زبده صلبك ، فيها نقطة قوي هيكلك ، زبده معدتك ، فيه طرق معابرك .

لوزه قلبك ، فيها قوي فهمك ، وقبلة تلقيك ، وساحة نظرك ، واستدلالك المتصلة الحبل ببرزخ دماغك .

ذاوئب عروقك كنباتات الأكوان ، بقعة رأسك الناهضة بقية وجهك كالسماء ، فيها درج شعرك كالأطلس البحت ، فيها سطح جبينك كخط الفلك .

فيها مقلتاك كالكواكب ، فيها جلدة خديك كأملس الرواق المقوم ، فيها تركيب أضراسك في فمك ، كنظام الأبراج في معارج خطوطها .

فيها نبات وجهك ، كمنثور لواقح الأبخرة المخضلة المتدلية إلى مركز السكون ، تقف وتتحرك بنسبة مواردها كشأن نبات شعر وجهك .

وصلة رأسك بواسطة عنقك بهيئة وجودك ، كاتصال العالم العلوي بالأرض بواسطة حبال الاصطدام ، وذوائب الشعاع وخيوط الكواكب .

دورة رأسك ، مع بسطة ساحة صدرك ، كلف العالمين بطوري كونيتهما لفا لا يمس حكم البسط .

لينك حتى تصل يدك رجلك ، وبعضك بعضك ، كانطباق هذه المشاهد العلية والوضيعة ببعضها ، انطباقاً مساسياً لا يدخل مادة بأختها .

أيها الإنسان أنت مجمع هذه الغرائب ، أنت كنز هذه العجائب ، أنت نسخة هذه المضامين ، أنت نقطة هذا التعيين ، أنت حضرة المشهد الأقدس ، أنت محل نظر السر الأخفى ، وعلى القصد الأنفس .

أعرف نفسك ؟ أين أنت من معرفتها ؟ أنت شيء حارت به الأشياء ، أنت مادة انبجست من جزئيها كليات الأجزاء .

أبعد أن قمت كما أنت ، وعجزت عن أن تعرف ما أنت ، وقيدت عن تدبيرك ، وحرت في تصويرك ، تروم ـ أي مسكين ! ـ على من صورك دليلاً ، وتطلب لمعرفته قيلاً ؟! .

أيقظ عينيك من سنة غفلتك يا عليل العقل ! يا قليل الفهم ! يا سقيم الرأي ! .

تكفره الدنيا وبك أقام عليك الدليل ، تجهله للأمل وأعجزك عن كثيرك يا أقل القليل ! تزعم إنك عالم وأنت بوهدة الجهل فيه دون الأنعام أتظن أنك حققت إذا أقمت لك منابر وهم فأشركت وأنت أضل من الهوام .

مزق حجبك الكاذبة ، وارشد همتك الخائبة ، وتحقق بمعرفة ربك سبحانه .

ما أعظمه سبحانه ! ما أكرمه ! .

رفع شراع العظمة بالمصنوعات ، وأبرزك لتعبير فعميت عن الاعتبار ، فتداركك الكرم فأرسل لك من نوعك رسلاً تبين لك حقيقة الأسرار الكونية ، ودقائق الحكم ، ورقائق الأحكام ، وشرف مراتب المرسلين بختامهم الجامع للبراهين النظرية ، والرموزات الأستدلالية ، والنصوص القاطعة ، والحكم الساطعة ، والحجج البديهة ، والمناهج القرآنية .

صاحب اللسان المؤيد ، والفخر المخلد ، والأمر الذي لا يخذل ، والحق الذي لا يخلد ، والشرع الذي لا يرد ، والخير الذي لا يجحد ..

رسول الحكمة ، رسول الأدب ، رسول العرفان ، رسول الملاحم ، رسول القدرة ، رسول التواضع ، رسول السلطان ، رسول الإنصاف ، رسول السيف ، ورسول العدل ، رسول الله ، الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ، والحكم العدل ،) أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ([من سورة الشورى الآية 53] .

أعني سيدنا ومولانا ـ الذي علمنا الحكمة ، وزكانا ـ تاج هام الإنسان ، وحبيب الرحمن ، محمداً (r) .

فقد جاء ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأمر أن يقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منه دماءهم وأموالهم .

على أن هذه الكلمة منبر التوحيد ومدار الحق ، ومنار الشرع . أسقطت الغيرية ، وأمرت بالرجوع إلى الإله الحق ، ففرقت بين الخالقية والمخلوقية ، وألزمت باتباع أمر الله وامتثال رسوله عليه صلوات الله ، كونه المأمور بإعلاء ما إنطوى فيها من الأحكام القدوسية ، والحكم اللاهوتية .

وأيد ما أقول قول الله تعالى :) وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ([من سورة الحشر ، الآية 7] .

وقام على أثره الصحابة والأولياء العارفون ، والعلماء العاملون ، فمهدوا الطريق ، وأحكموا حكمة هذا

العهد الوثيق .

وأتقنهم فهماً ، وأجمعهم حكماً / العارفون بالله الذين أخذوا أحكام الشريعة فعرفوا حكمها بأسانيدها المنقولة ، ورواياتها الطيبة المقبولة ، وتخلقوا بأخلاق الله تعالى ، وأتبعوا رسوله عملاً بقوله تعالى :) قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ([من سورة آل عمران ، الآية 31]

فآمرهم غير فذ ولا عاد ، ومأمورهم غير موشح بوشاح الترفع والعناد .

يدورون مع الحق حيث دار ، ولا يرون لأنفسهم في البين أثراً ، وإن كانوا أشرف الآثار :) أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ([من سورة المجادلة ،الآية 22] .

ظن أناس من أهل الحجاب أن الولي هو الذي يقول ويصول ، ويدعي الفعل والقول والوصل .

وظن طائفة منهم أن الولي هو المسلوب المجذوب ، وظن آخرون أنه الأبله المهان .

ألا إن الولي / هو العاقل الكامل الحكيم الكريم العامل بكتاب الله وسنة رسوله عليه السلام .

ألا إن البدعة في طريق الحق كالذرة في العين ثقيلة وإن كانت خفيفة ، كبيرة وإن كانت صغيرة .

كل من خالف الشرع ليس من طريق الحق ، ما الطريق إلا الشرع

لا أقول هذا لأسلخ من العامة حسن الظن بأهل المحو والمجاذيب والبله والمتروكين ؛ لأن من طوائف الأولياء قوم أهل محو وجذب وبله وخمول ، ولكن أقول :

كمال مرتبة الولاية ، كمال التخلق بخلق النبي العظيم ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، والفضل والفضيلة والفخر والمجد بالعمل بأعماله ، والقول بأقواله ، والتحلي بأحواله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وكلما نقص الولي في هذه المرتبة ، نقصت مرتبته بنسبة نقصانه ، كيف وهو المقتدي سيد الخلق محمد عليه أشرف الصلوات ؟ .

ألا وهو الذي شيد أركان العدل ، وأسس بنيان الحكمة ، ووفى حقوق الآدمية ، وقاتل على حفظ نظامه بوقوفها عند حدها ، فلا تصعد لطلب المشاركة في شأن أو طور أو صفة أو كلمة ينتهي سرها للربوبية، حتى كان البعيد والقريب عنده في الله سواء . لسان الحق الصادع ، حبيب الله الشارع .

أين أنت أخا الوهم ؟ أتظن أنك تصل إلى حقيقته ، وتنتهي لكشف سر طريقته ؟ هيهات ! العرض والفرش مثلك في الحيرة به .

تعظم المحامد إذا أضيفت إليه ، وتفخر ألسن المفاخر إذا نوهت عليه.

هذا سر عرف الله قدره فحمله عبء الرسالة للحر والعبد ، والأبيض والأسود ، والعربي والعجمي ، بل والجن والإنسان ، حالة كونه وحيداً لا ناصر له ، فريداً لا أعوان له ، بين قوم غلاظ شداد ، لعلم الله السابق بشأنه .

فرفع شراع الغي عن هياكل القلوب ، ونشر لواء الأمن والإيمان ، ومهد طريق الحقيقة ، فأوضح السبل .

وجاء بالقرآن الذي كل كلمة منه معجزة ، كل حرف منه في نظمه معجزة .

كل نقطة منه في محلها معجزة ، قرأه المحجوب فقال : ذكر الله قصه يوسف . وقرأه العارف فرأي آيات ربه

الكبرى .

فهم من نظم الحروف أسراراً جهلها أهل الرأي من المفسرين ، وسكت عنها أهل الفهم من العارفين ، وكلهم معذور .

أهل الرأي كشفوا قناع مضمون الكلمة ، ونقلوا ما قيل فيها من الأخبار ، وأهل الفهم ستروا نوع سر الكلمة ، وتلقوا أحكام ما انطوي فيها من الأسرار ، هؤلاء للسر يكتمون ، وأولئك للخير يذكرون .

إياك إياك أيها المؤمن الذي فطره الله علي الإيمان ، وشرح صدره بنور الهدي والإسلام ، أن تلفت عنان جهلك لزخارف سفسطة المارقين ، فتزعم أنها من الحكمة ، وتستصغر حكمة دينك الذي رفع الله لك شرافة فضله حتى بلغت غايات النهايات ، ودونها كل الحكم .

أعيذك بالله والمسلمين وإياي من ذلك ! إلا أن السم القاتل يخطبك الصابئ بشقشقة ولقلقة لفقها من كلمات القدماء ، ونقح فيها بعض عبارات أشارت إلي الجوهر الفرد والمادة المركبة والعرض المنخل ، فتهفت له نفسك ، وكأنه أبدع ! .

وبه علي النفوس التي مثل نفسك ،] فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون [[من سورة النحل ، الآية 43] .

ياعالم اقعد بلا عزة ، وتجرد عن دعوى الإحاطة ، وخذ من علمك خشية تصلح شأنك :] إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [[من سورة فاطر ، الآية 38] .

يا جاهل ، أنقذ نفسك من ورطة الجهل ، وادخل بجدك واجتهادك في أعداد العلماء :] هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون [[من سورة الزمر ، الآية 9] .

ياصوفي ، تفقه في دينك : " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين "

[مر تخريجه ص 98] .

يا محب ، حكم نبيك في الأمر ، كن منصفاً ، لا تعلو ، ولا تغلو ، لا تقدم إلا بحق ، ولا تؤخر بغير الحق .

أحذركم الله في أمر دينكم ودينا كم ، لا تكونوا من الغافلين ، أصلحوا قلوبكم ليتولاها مولاها :] الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين [[من سورة الأعراف ، الآية 195] .

هذا ما أمطره الله علي فلاة قلب فقيره عبده المسكين أحيمد اللاش :] قل كل من عند الله [[من سورة النساء ، الآية 78] ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ،] سبحان ربك رب العزة عما يصفون (18.) وسلم علي المرسلين (181) والحمد لله رب العالمين [[من سورة الصافات ، الآية 18.-182] .

تأثير خطبته :

قال راوي الحديث السيد شمس الدين محمد الرفاعي :

((صعد السيد أحمد الكبير الكرسي بعد صلاة الظهر ، ونزل من كرسيه وقت العصر ، وقد كثر في مجلسه المبارك البكاء والنحيب والحيرة ، وأزدحم التائبون على بابه ، حتى عجزنا عن أن نحصيهم لكثرتهم ، وأستمر تلقين العهد إلى نصف تلك الليلة السعيدة)) [المجالس الرفاعية ص (93) ، ((المجلس السابع)) ،

وأنظر ((روضة الناظرين)) ص (67) ، للإمام التروي ، رحمة الله عليه]

العودة الى فهرس المحتويات

مجلس المذاكرة :

بعد انتهائه من مجلس وعظه ، يجلس سيدنا الرفاعي على كرسيه والعلماء والكبار والشيوخ الكاملون يعرضون عليه أسئلتهم أو ما يشكل عليهم في كل فن ، ويجيب سيدنا الرفاعي بما يشفي قلوبهم ، ويشرح صدورهم ، وكانت تشتمل تلك الأسئلة على موضوعات مختلفة .

زار الفقيه العالم أبو زكريا يحيى بن الشيخ الصالح يوسف العسقلاني أم عبيدة ، وحضر مجلسه ، فقال عن ذلك :

((كنت في أم عبيدة زائراً عند السيد أحمد الرفاعي وفي رواقه ، وحوله من الزائرين أكثر من مئة ألف إنسان ، فيهم من الأمراء والعلماء والشيوخ والعامة .

وكان يصعد الكرسي بعد الظهر ، فيعظ الناس ، والناس حلقاً حلقاً حوله ، فصعد الكرسي يوم الخميس ، وفي مجلسه وعاظ واسط ، وجم غفير من علماء العراق وأكابر القوم ، فبادره قوم بأسئلة من التفسير ، وآخرون بأئلة من الحديث ، وجماعة من الفقه ، وجماعة من الخلاف [قلت : أي : الفقه المقارن] وجماعة من الأصول ، وجماعة من علوم آخر .

فأجاب عن مئتي سؤال من علوم شتى ، ولم يتغير حاله حال الجواب ، ولا ظهر عليه أثر الحدة ، فأخذتني الغيرة من سائليه ، فقمت وقلت :

أما كفاكم هذا ! والله لو سألتموه عن كل علم دون ، لأجابكم بإذن الله بلا تكلف .

فتبسم وقال : دعهم يا أبا زكريا فليسألوني قبل أن يفقدوني ، فإن الدنيا زوال ، والله محول الأحوال .

فبكى الناس ، وتلاطم المجلس بأهله ، وعلا الضجيج ، ومات في المجلس خمسة رجال ، وأسلم من الصابئين والنصارى واليهود ثمانية آلاف رجل أو أكثر ، وتاب أربعون ألف رجل)) [((المعارف المحمدية)) ص 45 ، و((سواد العينين)) ، ص (55-56)] .

مواعظه ووصاياه الخاصة :

كان سيدنا الرفاعي عظ الناس في المجلس أمام الحاضرين ، وهو خطاب عام ، ولكنه يعظ مريديه شخصاً شخصاً ، فرداً فرداً أيضاً ، وذلك حسب أستعداده وما يناسب حاله .

وهذه المواعظ فيها تأثير عظيم ، بل هي أفضل من المواعظ ، لأن الخطاب العام لابد للواعظ والناصح أن يراعي فيه كل من حضر مجلسه ، وكذلك يختلفون في استعدادهم ، فلا يمكن للواعظ أن يخص خطابه إلى شخص خاص [السيرة النبوية تبين لنا أن المصلح الأعظم النبي الخاتم قد أختار هذا الطريق لإصلاح أصحابه الكرام . وكان يوصي من أصحابه بما يرى فيه صلاحه ، فمرة أوصى معاذ بن جبل رضي الله عنه ، يقول معاذ بن جبل عن هذه الوصية :

((اوصاني رسول الله (r) بعشر كلمات قال : ((لا تشرك بالله شيئاً وإن قتلت وحرقت ، ولا تعقن والديك وغن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ، ولا تتركن صلاة مكتوبة عمداً ، فإن من ترك صلاة مكتوبة ، فقد برء من ذمة الله ، ولا تشربن خمراً ، فإنه رأس كل فاحشة ، وإياك والمعصية ، فإن المعصية محل سخط الله ، وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس ، وإن أصاب الناس موت فاثبت ، وأنفق على أهلك من طولك ، ولا ترفع عنهم عصاك أدباً في الله)) .رواه أحمد في "المسند" 1 : 34 ، " فضائل الصلاة "] .

نموذج من موعظة القيمة :

" عليك بالإخلاص ؛ فإنه نهج مسلك العارفين ، وعليك بقلة العجلة ، وقلة الكلام ، ولينا ، وإجابة دعوة الأخوان إلى ما لهم فيه مسرة وصلاح حال .

وأحذر التعبيس والضجر ، وعليك بالعقل الذي هو دليل التقى والإصلاح ، وعليك بالاحتمال لقومك ولو أخرجوك ، وعليك بالورع ، فهو سيد الأعمال .

وعليك بالصدق في كل حال ، وبقلة الدعوة ، وكثرة التواضع ، وكثرة العبادة ، وكثرة الحزن والبكاء ، ورقة القلب ، والقيام لله بحقوق القاصدين والواردين ، والعفة عما حرم الله عز وجل .

وإياك والنظر لغير الله تعالى ؛ فإنه سهم من سهام إبليس ، وأقمع النفس بكثرة الصوم ، وقلة النوم ، والجهاد بخدمة الفقراء ، وحفظ العهود ، والوفاء بها ، وبذل المجهود ، والالتجاء إلى الملك المعبود .

وإياك أن تبيت وعندك لأحد من الخلق ضغينة ، أو حقد ، أو غيظ

ولا تغضب إلا لله ، وإذا حردت فاكظم غيظك ، ولم نفسك ، فإن الكريم إذا حرد لم يحقد ، ولم يعرف الحلم إلا عند الحرد والغيظ والضجر .

وإياك والمداهنة ، وإياك أن تدخر شيئاً ، وتشاغل عما يعينك ، ولا تقل : أنا ، ولا : لي ، ولا : عندي ، ولا تكثر من الدنيا ، ولا تدخر منها ، ولا تفتخر ، ولا تتباهى ، ولا تجمع من الدنيا فوق الحاجة ، وأزهد تأتك صاغرة .

وآو الغريب ، وأغث المحتاج والولهان ، وتمسك بطريق العارفين ، وأحسن للفقراء ، وتواضع لهم ، وتذلل بين أيديهم ، ولا تمل إلى أهل الدنيا ودنياهم ؛ فإن الدنيا وأهلها لا قيمة لهم .

ووسع صدرك للخلق ؛ فإنك مكلف بذلك ، وإذا تكلمت بكلمة فأعتبرها قبل أن تتكلم بها ؛ فإنك مالكها ما لم تخرجها ، فإذا أخرجتها ملكتك ، فتصير أسيراً .

وزن نفسك بميزان العقل والاعتبار ، وصفها من كدر الغدر والخيانة ، وعذبها بعذاب الإنابة ، واسقيها شراب الخوف ؛ فإنك إذا فعلت ذلك ، قضيت لك الحوائج من حيث لا تعلم .

واصدق باتباع نبيك عليه الصلاة والسلام ، والتمسك بسنته ؛ لأن الصادق في طريقه وأقواله وأفعاله تفتح له الأبواب والأقفال ، وتصرف عنه الأهوال ، ويستجاب دعائه في الحال " .

قال السيد عبد الرحيم :

" والله لما سمعت كلامه ، رسخ في قلبي ، وأنشرح له صدري ، وجعلته نصب عيني ، وبلغت به من الله كل ما طلبته ، وبه أعمل حتى ألقي الله " [" المجالس الرفاعية " ص (14.-141) ، المجلس السابع عشر .]

* * *

العودة الى فهرس المحتويات

اشتغاله بالذكر والعبادة: شغفه بالعبادة :

كان لسيدنا الرفاعي شغف زائد واهتمام عظيم بالذكر والعبادة ، فكأنه يعيش فيها ، ولا يجد له راحة في

غيرها ، يقول الأستاذ سعيد الرحمن الأعظمي الندوي :

" نشأ على حب الله ورسوله ، وشديد التعظيم لسنة الرسول (r) ، وكبير الانشغال بالذكر والعبادة " [مجلة البحث الإسلامي ، ص 95]

كان يواظب على الصوم ، ويداوم على قيام الليل ، فقليلاً ما يهجع ، يتجافى جنبه عن المضجع خوفاً من ربه وطمعاً في رضاه .

ويقوم أمامه خاشعاً ، يبكي بكاء الحزين ، ويتململ طوال الليل تململ السليم ؛ كأنه على حسك السعدان ، يتنفس الصعداء .

لا يقر له فؤاد ، كأنه خلق للخشوع والخوف ، لذا يراعي ربه ، لا تخلو هذه الرعاية لحين من الدهر ، لا للمحة ، ولا لدقيقة ، ولا لغض البصر ، يراعي الأدب مع الباري تعالى ، ولا يغفل عن أدبه ، كأنه بين عينيه .

كان حائزاً على مرتبة الإحسان الكامل ، والشهود التام ، يمكن لنا أن نقدر ـ إلى حد ـ شيئاً عن خشوعه لله سبحانه وملاحظته لحضرة الباري جل شأنه ، مما قال عنه مريده وصاحبه الشيخ يعقوب بن كراز :

" أحضر بعض الأكابر مريضاً ليدعو له الشيخ ، فبقي أياماً لا يكلمه ، فقال يعقوب : أي سيدي ما تدعو لهذا المريض ؟ .

فقال : أي يعقوب ! وعزة العزيز ، لأحمد له كل يوم مئة حاجة مقضية ، وما سألته منها حاجة واحدة .

فقلت : أي سيدي ! فتكون واحدة لهذه المريض المسكين ، فقال : لا كرامة ولا عزازة ، تريد أن أكون سيء الأدب ، لي إرادة وله إرادة؟!

ثم قرأ :) ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ([من سورة الأعراف ، الآية 54] .

أي يعقوب ! الفقير المتمكن إذا سأل الله حاجة وقضيت له ، نقص تمكنه درجة [أنظر " سير أعلام النبلاء " 21 : 8. ، الذهبي] .

فقلت : أراك تدعو عقب كل الصلوات وكل وقت ؟ .

قال : ذلك الدعاء تعبد وامتثال ، ودعاء الحاجات له شروط ، وهو غير هذا الدعاء . ثم بعد يومين عوفي هذا المريض [قلت : عوفي بأدب السيد أحمد الكبير ـ رضي الله عنه ـ مع الله تعالى ن ولم ينقص من تمكنه شيء بل أزداد بالأداب ، هكذا يكون الكمال ، فافهم] .

الأوردة والأدعية التي كان يداوم عليها :

كان سيدنا الرفاعي أكثر ما ينشغل بتلاوة القرآن ، والتدبر في معانيه .

يتلو القرآن بالترتيل والتجويد ، وكان مع اشتغاله بتلاوة الكلام الشريف يشتغل بالأوردة من الذكر والمراقبات والأدعية المأثورة ، التي ألهمه الله إياها في قلبه ، فيدعو بها ، والصلاة على النبي الأمي ، عليه أفضل الصلوات والتسليمات ، وعلى آله الكرام .

كان يصلي على النبي عليه الصلاة والسلام بـ : " اللهم صلي على سيدنا محمد النبي الأمي الطاهر الزكي ، صلاة تحل بها العقد وتفك بها الكرب ، وعلى آله وصحبه وسلم " .

والدعاء التالي المبارك هو من أوراده الشريفة ، يدعو به عقب الصلاة في الأوقات الخمسة دائماً :

" اللهم إني أسألك من النعمة تمامها ، ومن العصمة دوامها ، ومن الرحمن شمولها ، ومن العافية حصولها ، ومن العيش أرغده ، ومن العمر أسعده ، ومن الإحسان أتمه ، ومن الإنعام أعمه ، ومن الفضل أعذبه ، ومن اللطف أنفعه .

اللهم كن لنا ولا تكن علينا ، اللهم اختم بالسعادة آجالنا ، وحقق بالزيادة آمالنا ، واقرن بالعافية غدونا وآصالنا .

اجعل إلي رحمتك مصيرنا ومآلنا ، واصبب سجال عفوك علي ذنوبنا ، ومن علينا بإصلاح عيوننا ، واجعل التقوى زادنا ، وفي دينك اجتهادنا ، وعليك توكلنا اعتمادنا ، وإلي رضوانك معادنا .

اللهم ثبتنا علي نهج الاستقامة ؛ وأعدنا في الدنيا من موجبات الندامة يوم القيامة .

اللهم خفف عنا ثقل الأوزار ، وارزقنا عيشة الأبرار ، واكفنا واصرف عنا شر الأشرار ، وأعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا وإخواننا من النار ، يا عزيز ؛ يا غفار ؛ يا كريم ؛ يا ستار ؛ يا حليم ؛ يا جبار ؛ يا الله ؛ يا الله ؛ يا الله .

اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه ، وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه ، ولا تجعل علي متشابهاً فأتبع الهوى .

اللهم إني أعوذ بك أن أموت في طلب الدنيا برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلي الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، والحمد الله رب العالمين " [" المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية " (96) ، للإمام السيد الصياد رضي الله عنه ، وقال عند انتهائه :

" وهذا الدعاء الذي ذكرناه مروي عن الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ بكتابه " . انتهي .

قلت : وهو في " السير والمساعي " ص (173) ، للسيد الشيخ إبراهيم الراوي الرفاعي ، شيخ الطريقة ببغداد ، رحمه الله عليه .] .

ويستغفر سيدنا الرفاعي كل يوم ألف مره ، واستغفاره أن يقول :

" لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، عملت سوءاً ، وظلمت نفسي ، وأسرفت في أمري ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي ، وتب علي ، إنك أنت التواب الرحيم ، يا حي يا قيوم ، لا إله إلا أنت " . [" مجلة البعث الإسلامي " 16 : 99 ، العدد السادس] .

كان يصلي أربع ركعات بألف :] قل هو الله أحد [. وله شغف زائد واهتمام عظيم بالأدعية والصلوات النافلة والمراقبات والأوراد ، والذكر والتلاوة .

ولقد جمع أدعيته وأذكاره وأوراده الأستاذ السيد إبراهيم أفندي الراوي الرفاعي ، وسماها بـ " السير والمساعي " .

وقد طبع في الكويت طبعة ثانية في عام (139. هـ) ، علي نفقة سيدي السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي ، والحاج يوسف أحمد جمال .

وكذلك منها عدة كتب من أوراد سيدنا الرفاعي منها : " الأحزاب والرفاعية " [قلت : هذه الأحزاب ذكر

أنها بلغت اثنين وستين وستة مائة ، وان بعض السالكين جمعها في مجموع لطيف ، كما نص علي ذلك الإمام السيد الصياد في " المعارف " ص (1.9) ، وغيره كالفاروثي في " الإرشاد " ص (75)] ، و" السر المصون " [قلت : وهو المعروف بـ : " حزب السيف القاطع " ، كما في " الوظائف " ص (91) ، وغيرها .] .

فنستطيع بهذه المجموعات أن نقدر مدي اشتغاله وشغفه بالذكر والعبادة ، والتقرب إلي الله تعالي .

رضي الله عنه وأرضاه ، فقد كان من دعائه :

" . . . واجعل أوقاتي بك عامرة ، وسريرتي بمحبتك نيرة ، وعيني بشهود آثار لطفك قريرة ، وبصيرتي بلوامع بأنوار قربك مستنيرة وبصيرة " ["حزب الفرج " ص (12) ، للإمام الرفاعي رضي الله عنه"]

العودة الى فهرس المحتويات

قرضه الشعر

شعره الموهوب (قلت : قال إمامنا الكبير السيد احمد الرفاعي – رضي الله عنه – في الشعر كلاما نفيسا ماتعا ,, كما ذكر ذلك الإمام شيخ الإسلام السيد محمد سراج الدين الرفاعي الحسيني ثم المخزومي , في كتابه الماتع " صحاح الأخبار " ص (68) , وهذا نصه :
" الشعر فاكهه العرب , وأحسنه ما مدح به رسول الله صلي الله عليه وآله وأصحابه , وحزب الأولياء الأعلام رضوان الله عليهم , ووراث الشريعة .
ومثله في الحسن ما نبه من غفلة . ودل علي حكمة .
وبئس البضاعة بضاعة شعر تصرف في قد وخذ , وتتخذ ذريعة لمد يد , أو تشطب عرض أحد! .
أي جمال الدين ! قل لمن ابتلي بهذه البضاعة : إن لم تحكم شرف الحكمة , وتنظم دررا لخدمة , فما أنت بحكيم عاقل , وإذا تكون شاعرا – أي : ممن ذمهم الله تعالي في كتابه –.
وإذا ابتليت بالشعر , فامدح ولا تقدح , فإنه أهون عليك حملا وإن تجاوز خطه – أي : تجاوزت في المدح حتي وقعت في المحذور .
وإن قويت نفسك علي السكوت إلا بحق فاسكت , وصن عزيمة لسانك لذكر الله , والتهليل , والتكبير, والتجميد , والصلاة علي رسول الله ((r , فإن ذلك سيد عزائم اللسان , والله يتولي أمورنا بلطفه والمسلمين أجمعين " .) :
كان سيدنا الرفاعي يقول الشعر بليغا , وقد كان رغم أشغاله الكثيرة يقرض الشعر مرتجلا بدون أي تكلف أو صناعة .
كان سيدنا الرفاعي عنده عواطف جياشة وشعور قوي , ولذا نجد شعره قد غلب عليه عنصر وجداني شديد , ولا نجد فيه التبهل (العناء بما يطلب , كما في " القاموس " 1 : 35. , مادة : " بهل ") والصناعة , وإنما لتأتيان بالتكلف والتصنع , وسيدنا الرفاعي برئ من التكلف , فأتي شعره صادقا مؤثرا .
قال ابن عباد عن ابن القاضي : وله – أي : سيدنا الرفاعي – شعر حسن ("شذور الذهب " 4:39 , و" مقالات إحساني "ص (95) , وابن خلكان , و " البداية والنهاية " 11:313 , و" الفتح المبين " ص (1.3) , و" الدر المنظم في مناقب الغوث الأعظم " 1 : 311 , و" مناقب الأقطاب الأربعة " ص (37) , و" السيد أحمد الرفاعي حياته وآثاره " ص (18) ليونس السامرائي).
قال الشيخ إبراهيم السامرائي عن شعر سيدنا الرفاعي : " لسيدنا الرفاعي شعر بليغ في غاية الفصاحة والبلاغة والبيان , ومافيه إلا تقوي الله وطاعته والاعتماد عليه " .
أشعاره البليغة :
قال عماد الدين ابن كثير نقلا عن ابن خلكان : "
ومن شعره علي ما قيل :
إذا جن ليلي هام قلبي بذكركم أنوح كما ناح الحمام المطوق
وفوقي سحاب يمطر الهم والأسي وتحتي بحار بالأسي تتدفق
سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها تفك الأساري دونه وهو موثق

فلا هو مقتول ففي القتل راحة ولا هو ممنون عليه فيطلق
(قلت: في صحة انتساب هذه الأبيات إلي الإمام الرفاعي نظر , وإن كان المشهور أنها له , فتأمل .
ومن نظمه :
تعود سهر الليل فإن النوم خسران
وقم للواحد الفرد وللقرآن خلان
ويلهو المعرض اللاهي وعند القوم أحزان
ولاتركن إلي الدنيا فعقبي الذنب ميزان
ينام الغافل الساهي وما في القوم وسنان
همم والله فتيان إذا ما قيل : فتيان
(" المجموعة الصغري للفوائد الكبري " ص (8)
* * *
ومن شعره قوله :
يانؤوم الليل في لذاته إن هذا النوم رهن بسهر
ليس ينساك إن نسيته طالع الدهر وتصريف الغير
إن ذا الدهر سريع مكره إن علا حط , وإن أوفي غدر
أوثق الناس به في أمنه خائف يقرع أبواب الحذر
* * *
وقال :
الناس في العيد قد سروا وقد فرحوا وماسررت به والواحد الصمد !
لما تيقنت أني لا أعاينكم أغمضت عيني , ولم أنظر إلي أحد
* * *
وقال :
غني بهم حادي الأحبة في الدجي فأطار منهم أنفسا وقلوبا
فأراد مقطوع الجناح بثينة وهمم أرادوا الواحد المطلوبا
(ومما ينسب إليه هذه الأبيات , كما في " الكليات الأحمدية " ص (123) :
فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضي والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب ".
وقال :
عجبت لمن يقول : ذكرت ربي وهل أنسي فأذكر من نسيت ؟!
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ولولا ماء وصلك ما حييت
فأحيا بالمني وأموت شوقا فكم أحيا عليك وكم أموت
شربت الحب كأسا بعد كأس فما نفد الشراب ولا رويت
* * *
وقال :
مواهب الرحمن لا تنقضي أمة المختار مثل المطر
خزائن السر لأحبابه والأهل للحكمة نوع البشر
قد يفلح السابق في سيره ويسبق الضويلع المنتظر
* * *
وقال :
الناس في غفلاتهم رحي المنية تطحن
ما دون دائرة الرحي حصن لمن يتحصن
* * *
وقال :
يا أيها المعدود أنفاسه لابد يوما أن يتم العدد
لابد من يوم بلا ليلة وليلة تأتي بلا يوم غد
(" مناقب الأقطاب الأربعة " ص (37-38), و" السيد أحمد الرفاعي – حياته وآثاره " ص (18-19

( ).
ومن نظمه عندما زار جده المصطفي عليه الصلاة والسلام , سنة (555 هـ) : هذان البيتان الشهيران : "
في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظي بها شفتي "

العودة الى فهرس المحتويات

أخلاقة وعاداته: " التواضع "

التواضع وإنكار الذات :
يقول سماحة الأستاذ الشيخ السيد أبو الحسن علي الندوي : " إن التواضع وإنكار الذات من خصائص رجال الله الخاصة , وهو المنصب الأعلي في الدين , أفضل من ألف فضيلة , وألف كرامة , ولا يبلغ الإنسان هذه المنزلة إلا أن تموت الأنانية , ويتزكي قلبه من جميع الشوائب والعلائق " (رجال الفكر والدعوة " الجزء الأول ") .
هضم النفس وقطع الأنانية :
وهكذا كان سيدنا الرفاعي متصفا بهذه الصفات العليا , ومتحليا بهذه الخصوصية العظمي .
وقد وهب هذه الفضيلة العظمي بكمالها , ويشهد كلامه له بما كان يتصف به من التواضع , والربانية , وهضم النفس وإنكار الذات , وعدم الأنانية وقطع جميع الشوائب والعلائق .
قال لتلميذه الوفي الشيخ يعقوب بن كراز ذات مرة (انظر " سير أعلام النبلاء "79:21 , للذهبي .) :" لو أن عن يميني جماعة يروحوني بمراوح الند والطيب , وهم أقرب الناس إلي , وعن يساري مثلهم يقرضون لحمي بمقاريض , وهم أبغض الناس إلي ,مازاد هؤلاء عندي , ولا نقص هؤلاء عندي بما فعلوه , ثم تلا : (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ (من سورة الحديد , الآية (23)) .
بلوغة المرتبة العليا في التواضع :
قال رضي الله عنه :
" سلكت كل الطرق , فما رأيت أقرب ولا أسهل ولا أصلح من طريق الذل والافتقار والانكسار لتعظيم أمر الله , والشفقة علي خلق الله , والاقتداء بسنة رسول الله (r) " " مقالات إحساني " ص (95) .
كان يسأل أصحابه عن عيوبه , ويقول لهم : دلوني علي عيوبي . وذلك لصغر نفسه في عينه , ولهوان منزلته في نفسه , ما كان يعد نفسه شيئا يذكر .
قال الشيخ يعقوب بن كراز وهو من أخص أصحابه :
" كان سيدي أحمد في المجلس فقال لأصحابه : أي سادة ! أقسمت عليكم بالعزيز سبحانه , من كان يعلم في عيبا فليقله .
فقال الشيخ عمر الفاروثي : ياسيدي أنا أعلم فيك عيبا . قال : ما هو ؟ قال : ياسيدي , عيبك أننا من أصحابك . فبكي الشيخ والفقراء , وقال : أي عمر , إن سلم المركب , حمل من فيه " ("سير أعلام النبلاء "78:21 , للذهبي) .
وزاد صاحب " الدر المنظم " (ص (3.7) . , و" صاحب الطبقات الكبري ":
" أي سادة , أنا خادمكم , أنا دونكم " .
أمثلة عملية علي تواضعه :
إن الكمال يعتبر بالعمل , لا بالأقوال فحسب , ولقد كان سيدنا الرفاعي متصفا بالعمل , لا يقول شيئا إلا ويعمل به أول.
لم يكن تواضعه وإنكار ذاته قولا ولفظا , بل إنما كان عملا وفعلا , نستطيع أن نقدر حقيقة حاله وكيفية تواضعه وانكساره مما يلي من الشهادات .
قال الشعراني في " طبقاته " (125:1) , والمؤلفون الآخرون في مؤلفاتهم :
" ماتصدر سيدنا الرفاعي قط في مجلس , ولا جلس علي سجادة تواضعا ".
قال اليافعي : " وكان إليه النتهي / في التواضع والقناعة , ولين الكلمة والذل والانكسار , والإزدراء علي نفسه , وسلامة الباطن " (مرآة الجنان " ص (4.9).
قال الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي : " عاش زاهدا فقيرا , وقضي حياته صامتا في خدمة الدين وتربية النفوس , بلغ من التواضع والتصاغر منتهاه "(مجلة البعث الإسلامي "94:16 , العدد السادس .

سر تواضعه :
وكيف لا ينال ذروة التواضع والتصاغر من استولي علي مشاعره حضور الباري تعالي , وشهودة , وعظمتة , وكبرياؤة , وجبروته .
لا يحصل للعبد صفاء الصدر حتي لا يبقي فيه شيء من الخبث , لا لعدو ولا لصديق ولا لأحد من خلق الله عز وجل , وهناك تستأنس به الوحوش في غياضها , والطير في أوكارها , ولا تنفر عنه .
قال السيد الشيخ أبو الهدي الصيادي الرفاعي (في كتابه " قلادة الجواهر " ص (49). عن تواضعة : " رأي يوما زوجته الصالحة رابعة تطحن بالرحا , فجلس معها وساعدها في الطحن , واشتري يوما سمكة من السوق , فحملها بنفسه , ولم يمكن أحدا من حملها .
وكان لا يقبض يده عن من أراد مصافحته , ولا يمكن أحد من تقبيل يده , ولا يدعو أحدا يحمل معه , ولا يستخدم أحدا من الفقراء في حاجة لنفسه .
قال الشيخ يعقوب (كما في " قلادة لجواهر " ص (53) : " كان السيد أحمد الرفاعي – رضي الله عنه – لا يعرفه أحد إلا بذل وانكسار , وخضوع وخشوع وافتقار , ومسكنه وتواضع واحتقار " . انتهي .

العودة الى فهرس المحتويات

خدمته للخلق: الخادم المشفق :

كان إلي سيدنا الرفاعي المنتهي في خدمة الخلق بلا جدال , وكان له شغف خاص زائد , وولوع عظيم بالخدمة من إطعام المساكين , وكفالة لليتامي والأيامي , وعيادة المرضي , وتضميد للجرحي , ونصرة للمظلومين , حتي بلغ من شفقته علي الحيوانات مبلغا تضاءل بجانبه كل معني من معاني الشفقة والحنان والعطف المعهودة .
رقة قلبه :
كان لا يستخدم أحدا في حاجة , وكان يحمل قلبا رقيقا , ينقبض علي مصيبة يبتلي بها أحد من الخلق , ولعل هذا هو السبب لقلهة طعامة وأكلة .
لا يطيب له طعام ولا شراب , يقول الإمام الشيخ السيد عز الدين أحمد الصياد – رضي الله عنه – عن حاله هذا (" المعارف المحمدية " ص (37) .:
" لا يستخدم أحدا في حاجة لنفسه , ويقول إذا اخترت الخدمة كيف يكون للخادم خادم ؟ .
ولا يجمع في حالة واحدة بين نوعين من الطعام , ولا يأكل أكثر من قرص أو نصفه , ويقول : إذا أكلت أكثر من ذلك أنام في الليل شبعانا , ويكون في الموضع أناس جياع , فأطالب بذلك " .
خدماته المتنوعه :
كان سيدنا الرفاعي يجمع الحطب لتوصيله إلي بيوت الأرامل والمساكين , وربما كان يملأ لهم الماء .(" مجلة البعث الإسلامي " ,و" المجموعة الصغري "ص (3).
ومن عاداته المستمرة التي كان يواظب عليها المشي إلي المجذوبين والزمني مع مريديه , حيث يقومون جميعا بخدمتهم وقضاء حوائجهم , ويحمل إليهم الطعام , ويأكل معهم , ويدعو لهم , ويسألهم الدعاء , ويقول : " الزيارة لمثل هؤلاؤ واجبة , لا مستحبة ".(" الدر المنظم " 3.1:1 .
وإذا سمع بمريض في قرية ولو علي بعد يمضي إليه , ويعوده مع بعض مريديه , ويرجع إلي زاويته بعد يوم أو يومين (" الطبقات الكبري " 1(123-124) , للشعراني , و " إجابة الداعي " ص (38) .
ومن عاداته المستمرة أنه إذا قدم من السفر وقرب من أم عبيده , يشد وسطه , ويخرج حبلا مدخرا معه , ويجمع حطبا , ثم يحمله علي رأسه , فإذا فعل ذلك , فعل الفقراء كلهم مثله .
فإذا دخل البلد , فرق الحطب علي الأرامل والمساكين والزمني والعميان والمشايخ .
وكان يخرج إلي الطريق ينتظر العميان , حتي إذا جاؤوا يأخذ بأيديهم ويقودهم .
وكان إذا رأي شيخا كبيرا يذهب إلي أهل حارته , ويوصيهم به خيرا , ويقول :
قال رسول الله (r) : " من أكرم ذا شيبة – يعني مسلما – سخر الله له من يكرمه عند شيبته " (" الدر المنظم " 3.9:1 , و " الطبقات الكبري " 123: 1 , للشعراني رحمة الله عليه .
قلت : والحديث رواه بنحوه الترمذي (2.23) , باب ما جاء في إجلال الكبير , عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله (r) - : " ما أكرم شاب شيخا لسنه , إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه "

العودة الى فهرس المحتويات

شفقته علي الحيوانات :

كان سيدنا الرفاعي من أرق خلق الله قلبا , وأرحمهم نفسا يشفق علي كل نفس حيه ولو كانت بعوضة أو ذبابا (روي الذهبي عنه في " السير" 78:21 : " انه توضأ , فنزلت بعوضة علي يده فوقف لها حتي طارت " .ويؤثر كل حيوان علي نفسه ولو كان ذلك هرة أو كلبا , يقول صاحبه الشيخ يعقوب بن كراز :
" إن هرة نامت علي كم الشيخ , وجاء وقت الصلاة , فسحب بلطف كمه ولم يزعجها " (وروي الذهبي أيضا عنه كما في " السير" 78:21/ هذه القصة بكمالها فقال : " إن هرة نامت علي كم الشيخ أحمد, وقامت الصلاة , فقص كمه, وما أزعجها , ثم قعد , فوصلة , وقال : ماتغير شيء ".
قلت : هذا الخلق النفيس نادر من يفعله في هذه الأيام , إلا من سكنت رحمة عظيمة في قلبه علي كل ما خلق الله .)
" وكان إذا جلس علي ثوبه جرادة وهو مار في الشمس , وجلست علي محل الظل , يمكث لها حتي تطير , ويقول : إنها استظلت بنا " (" الطبقات الكبري "123:1 , للشعراني رحمة الله عليه .)
المسؤول عن الدواب :
وكأن الله تعالي قد كلفه بالنظر في أمر الدواب .
قال صاحبه الشيخ يعقوب كما ذكر الشنواني في " حاشيته علي مختصر ابن أبي جمرة ", والعلامة عبدالوهاب الشعراني في " طبقاته " , وكما ذكر المؤلفون ذلك في مؤلفاتهم أيضا أنه :
" وجد مرة كلبا أجرب أخرجه أهل أم عبيدة إلي محل بعيد , فخرج معه إلي البرية , وضرب عليه مظلة , وصار يطليه بالدهن , ويطعمة , ويسقيه , ويحت الجرب منه بخرقة , فلما برئ حمل له ماء مسخنا وغسله " (" الطبقات الكبري " 123:1 , و " الدر المنظم " 4.1:1 , و" تسهيل المواعظ " ص (15.) .
لقد كانت رحمته للخلق وشفقته عليهم , تأسيا بجده المصطفي رحمة للعالمين عليه الصلاة والسلام .
وإن هذه الحكايات إن دلت علي شيء , فإنما تدل علي ما كان يحمله سيدنا الرفاعي في قلبه الطاهر من عاطفه جياشة بالرحمة والشفقة علي الحيوانات , فضلا عن الإنسان الذي هو أشرف الخلق وأكرمه , كما تدل علي انكساره وعدم اعتداده بذاته وغاية افتقاره إلي الله .
ولا شك أنه لم يكن يفعل كل ذلك حرصا علي غني ومال , أو طمعا في جاه أو منصب , أو كسبا لقلوب الجماهير وحب الناس .
ولاشك أنه لم يكن يفعل كل ذلك حرصا علي غني ومال , أو طمعا في جاه أو منصب , أو كسبا لقلوب الجماهير وحب الناس .
فقد كان غنيا عن كل ذلك , لما كان يعيش فيه من الانصراف التام عن الدنيا وحطامها , والانقطاع عن كل شيئ إلي الله وحده , واتباع السنة والعمل بها (" مجلة البعث الإسلامي " المجلد (16).

العودة الى فهرس المحتويات

التحمل والتسامح:تحمله الأذي وعفوه عمن ظلمه :

كان سيدنا الرفاعي حليما صابرا , يتحمل الأذي من غلإخوان وغيرهم , ويعفو عنهم , ويسامحم عما فعلوا , ولا يبالي إذا أصابه أحد بالإيذاء والإيلام , أو تلقاه بالإجلال والاحترام , وذلك لشدة توكله واتصاله بربه , واعتماده علي تعاليم الإسلام الخلقية .
يقول العلامة الشعراني (في " الطبقات الكبري " 124:1). عن حلمه وصبره : " كان لا يجازي قط بالسيئة السيئة " .
صبره علي الأذي من الحكام :
ذكر أبو محمد اليافعي عن تحمله الأذي , وعن تسامحه في كتابه " روض الرياحين في حكايات الصالحين " :
" أنه خرج سيدي أحمد ليلة وقت السحر ليتوضأ بين النخيل , فمرت به سفن يصعد فيها الشحنة وجماعة من أتباع ديوان واسط , ومعهم جماعة من المدادين , وخلفهم جندي من أتباع الديوان , فلما نظر الجندي إلي سيدي أحمد قال له :

أي شيخ ! قم مد معنا . فقام الشيخ ومشي قدامه , فأدخله مع المدادين , وجعل البرنبد في صدره .
فمدد السيد أحمد الرفاعي – رضي الله تعالي عنه – ولم يتكلم , حتي وصل إلي القرية المعروفة ب " بدروية " وقت صلاة الصبح , فرآه فقير , فصاح واستغاث !.
فاجتمع الفقراء حوله , وكثر الضجيج , فلما علم الجندي ومن معه أنه السيد أحمد , انزعجوا مما وقع منهم , وعظم عليهم , وخرجوا من السفينة , ووقفوا بين يديه معتذرين مما جري منهم .
فقال لهم : أي سادة ! ما كان إلا الخير , قضينا لكم حاجة , وكسبنا حسنة , وما ضرنا شيء , وها أنا ذا , ما أزال جالسا في الرواق ما أعمل شغلا , وأنتم تسخرون حائكا وضعيفا , أو من له صنعه تعطلونهم عن صنعتهم , وتأثمون فيهم .
فإذا عرضت لكم حاجة , فأعلموني حتي أساعدكم , إلي أن أتعب فأرجع.
فقالوا : نحن نستغفر الله مما جري منا !! توبنا واعف عنا .
فقال لهم : رضي الله عنكم وعنا . ثم دعا لهم وودعهم .
فقال له الجندي الذي سخره : أي سيدي , هؤلاء القوم رضيت عنهم , فأنا الشقي أيش يكون حالي ؟ .
فقال له : الله يرضي عنك . فقال له : أي سيدي , توبني . فأخذ العهد عليه وتوبه وقال له : ربنا يشهد علينا أننا إخوه دنيا وأخري!.
ثم صعد إلي واسط , وترك الجندي الخدمة , ورجع إلي سيدي أحمد , فأخبره بترك الخدمة , ولازم طاعة الله , وصار من خيار الناس (" روض الرياحين في حكايات الصالحين " , الحكاية (471) ص (339-34.
).
صبره علي الأذي من الشيوخ والأران :
ذكر الشعراني في " طبقاته " (124:1). عن تحمل سيدنا الرفاعي من شيوخ عصره , يقول :
"أرسل إليه الشيخ إبراهيم البستي (قال في " معجم البلدان " : " بالضم , مدينة بين سجستان وغزنين وهراة " . كتابا يحط عليه فيه :أي دجال أي مبتدع ! يا من جمع بين الرجال والنساء! حتي ذكر الكلب بن الكلب , وذكر أشياء تغيظ .
فلما فرغ الرسول من قراءة الكتاب , أخذ سيدي أحمد وقال : صدق فيما قال , جزاه الله عني خيرا ! ثم أنشد : فلست أبالي من زماني بريبة إذا كنت عند الله غير مريب ثم قال للرسول : اكتب إليه الجواب : من هذا اللاش حميد , إلي سيدي الشيخ إبراهيم البستي رضي الله عنه .
أما قولك الذي ذكرته , فإن الله تعالي خلقني كما يشاء , وأسكن في ما يشاء , وإني أريد من صدقاتك أن تدعو لي , ولا تخليني من حلك وحلمك .
فلما وصل الكاب إلي البستي هام علي وجهه , فما عرفوا إلي أين ذهب " .
* * *

العودة الى فهرس المحتويات

مدحه لمعاصريه:

كان من عاداته المستمرة أنه يمدح معاصريه من المشايخ والعلماء في مجلسه أمام مريديه , وفي درسه أمام تلاميذه دائما , ويذكرهم بالخير , ويكرمهم غيبة .
إن الشيخ السيد عبدالقادر الجيلي من أكابر معاصريه, كان بينهما صداقة,وصلة وثيقة,ورابطة قوية .
وكان السيد الجيلي له صيت وشهرة كبيرة بين الناس . وقواه وعلمه وكراماته كل ذلك دال علي ما هنالك (ولد سيدنا الإمام الشيخ عبدالقادر الجيلي – رحمة الله عليه – بقرية " نيفا " , من إقليم " جيلان " سنة (47.
ه) .
وهو الإمام القدوة السيد الشيخ عبدالقادر , بن أبي صالح موسي , بن السيد عبدالله , بن السيد يحيي الزاهد , ابن السيد محمد , بن السيد داود , بن السيد موسي الثاني , ابن السيد عبدالله , بن السيد موسي الجون : - بفتح الجيم / يعني الأبيض , لقب موسي – .
ابن السيد عبدالله المحض : وهو لقب , ومعناه : الخالص . ابن السيد الإمام الحسن المثني , ابن السيد الإمام الهمام الحسن السبط , ابن الإمام الهمام , أمير المؤمنين , سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه , وكرم وجهه كذا في " فتح المبين " ص (14) , و " نزهة الخاطر " ص (6) , و"الطبقات الكبري " 1.8:1
تخرج في علوم عصره كما يتخرج أكبر عالم , وبرع فيها , وصحب الشيخ العارف أبا الخير , حماد بن مسلم الدباس , وأخذ عنه الطريقة , وتأدب به , وأخذ الخرقة الشريفة عن يد الإمام , رفيع المقام , القاضي أبي سعيد المخرمي . كذا في " قرة الناظرين " ص(338).

قال في " البداية والنهاية " : " دخل بغداد , فسمع الحديث , وتفقه علي سعيد المخرمي , وقد كان بني مدرسة ففوضها إلي الشيخ عبدالقادر قدس سره " .
وقال في " زبدة الأسرار وزبدة الآثار " ص (65) : " لم يكن مجلسه يخلو ممن يسلم من اليهود والنصاري , ولا بمن يتوب من قطع الطريق وسوء المذهب , وغير ذلك من الفساد " .
وقال السيد الشيخ أبو الحسن الندوي في : " رجال الفكر والدعوة " 24.:1 " كان يحضر مجلسه في بعض الأحيان الخليفة والملوك والوزراء , فيجلسون متأدبين خاشعين .
أما العلماء والفقهاء , فلا يأتي عليهم حصر , وقد عد في بعض مجالسه أربع مئة محبرة " .
كان مستجاب الدعوة , سريع الدمعة , دائم الذكر , كثير الفكر , رقيق القلب , دائم البشر , كريم النفس , سخي اليد , غزير العلم , شريف الأخلاق , طيب الأعراق , مع قدم راسخ في العبادة والاجتهاد . انتهي," قلائد الجواهر " ص (9) , " رجال الفكر والدعوة " 241 :1 .
قال ابن عماد : لقب مجمع الفريقين , وموضح الطريقين , وكريم الجدين , ومعلم العراقين . وتتلمذ له أكثر الفقهاء في زمنه , ولبس منه الخرقة المشايخ الكبار . " مقالات إحساني " ص (194) .
وقال السيد إبراهيم الأعزب في حقه : أحد الصديقين المقربين إلي الله ليوم ." طي السجل " ص (342) .
وقال السيد أبو الهدي في كتابه " الطريقة الرفاعية " : " إن مولانا الإمام الجيلاني – رضي الله عنه – من كمل أهل التمكين المتشرعين الناصرين لسنة جده سيد المرسلين (r) , وقد شهد بذلك كمل أكابر أهل الباطن والظاهر " .
قال الشيخ أبو عبدالله العروي : خدمت سيدي الشيخ محيي الدين عبدالقادر الجيلاني أربعين سنة , وكان في مدتها يصلي الصبح بوضوء العشاء . " زبدة الأسرار وزبدة الآثار " ص (49) .
وذكر مولانا عبدالرحمن الجامي في " نفحات الأنس من قطرات القدس " :" أن سيدنا الشيخ عبدالقادر الجيلي أحد المشايخ العظام الأولياء الكرام , له الأحوال السنية , والكرامات الجلية " .
قال الشيخ الفقيه النووي في كتابه " بستان العارفين " : " ماعلمنا فيما بلغنا من الثقات الناقلين كرامات الأولياء, أكثر مما وصل إلينا كرامات القطب شيخ بغداد , محيي الدين , عبدالقادر الجيلي .
كان شيخ السادة الشافعية , والسادة الحنابلية ببغداد , وانتهت إليه رياسة العلم في وقته , وتخرج بصحبته غير واحد من الأكابر , وانتهي إليه أكثر أعيان ومشايخ العراق " .
أولاده في الهند : وله أعقاب مشهورة بمصر وحماة وبغداد والهند , أما هذا الفقير , الكاتب عن الإمام الرفاعي نبذة من حياته , فمن أولاده – أي : السيد عبدالقادر – الذين هاجروا إلي الهند للتليغ والدعوة والإرشاد , فأدوا الأمانة رحمهم الله أجمعين .
توفي هذا القطب الولي الكامل السيد الشيخ عبدالقادر الجيلاني ببغداد ليلة السبت , من ربيع الآخر , سنة (561 هـ) , ودفن ليلا لكثرة الزحام , فإنه لم يبق ببغداد أحد إلا جاء ليحضر جنازته , وامتلأت الحلبة والشوارع والأسواق والدراب , فلم يتمكن من دفنه في النهار .
انظر "مرآة الزمان" , " الفتح المبين " ص (39.) , " البداية والنهاية " , " الطبقات الكبري " .
الجيلي والرفاعي :
كانت حلقة مسترشديه وخلفاءه وتلاميذه وسيعة جدا (قلت : هذا الكلام كما هو ظاهر في حق الشيخ الجليل عبدالقادر الجيلي رضي الله عنه) . وكذلك الحال بشأن سيدنا الرفاعي .
كان سيدنا الجيل في بغداد , وسيدنا الرفاعي في أم عبيدة , كان لهما التمكين الكامل في الإرشاد والهداية والرتبة العليا في مقام القبول عند الله والناس .
السيد الجيلي يذكر سيدنا الرفاعي دائما بين أصحابه وأمام التلاميذ , وكذلك سيدنا الرفاعي أيضا .
قال السيد الجيلي يوما أمام أصحابه في شأن سيدنا الرفاعي : " إن لله عبدا متمكنا في مقام عبديته , يمحو اسم مريده من ديوان الأشقياء , ويكتبه في ديوان السعداء بإذن الله , ألا وهو السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه "("سواد العينين " ص (67) .
كذلك سيدنا الرفاعي , فمرة سأله أصحابه عن السيد الجيلي فقال :
" رجل بحر الشريعة عن يمينه , وبحر الحقيقة عن ياره , ومن أيهما شاء غرف , هو في حاله ودلاله لا ثاني له في عصرنا , وهو من ملوك الرجال " ("سواء العينين " ص (81-82).
الوصية لزائر بغداد :
وروي أن سيدنا الرفاعي كان يوصي أصحابه :
" إذا دخلتم بغداد , فلا تقدموا علي زيارة الشيخ عبدالقادر أحدا , حيا أو ميتا .
أيما رجل من اصحاب الأحوال دخل بغداد فلم يزره فإنه يخشي أن يسلب حاله (" قرة الناظرين " , الحكاية

الثانية ولتسعون بعد الست مئه , ص (31) , ز"الدر المنظم " ص (34.).
ابتداء السلام لمن لقيه
سلامه علي الأطفال والصغار :
كان من عادة سيدنا الرفاعي الشريفة المستمرة: أنه يبدأ بالسلام من لقيه, وإن كان صغيرا أو طفلا .
كان – قدس سره – حسن الخلق , واسع الصدر , كريم النفس .
لقد كان مع جلالة قدره وعلو منزلته وسعة علمه يقف مع الصغير , ويوقر الكبير , ويبدأ الكل بالسلام (" الطبقات الكبري " 124:1 , و " الدر المنظم " ص (3.9).
السكون وقلة الكلام
المأمور بالسكوت :
كان سيدنا الرفاعي لا يتكلم إلا عن حاجة شديدة لا بد منها , كان دائم الفكرة , كثير الصمت , يتفكر دائما في الأنفس والآفاق .
كان كلامه ذكرا , وسكوته فكرا , ونظره عبرة .
قال العلامة الشعراني : " كان لا يتكلم إلا يسيرا " (" الطبقات الكبري " 123:1 و " إجابة الداعي " ص (41) .
قال سيدنا الرفاعي عن قله كلامه وعن سكوته مرة : " أمرت بالسكوت " (" طبقات الشافعية " , " الفتح المبين " ص (1.4) , " قرة الناظرين "ص (53) , " والدر المنظم " ص (3.1) .
الفناء والبقاء
كان سيدنا الرفاعي قد أفني نفسه , فبقي بالله , كان ينكر ذاته , ولا يفضل نفسه إذا نصحه أو نبهه أحد وإن كان صغيرا , يشكره ويدعو له .
وهناك قصه له , والعبرة فيها لمن كان له السمع والقلب .
روي أنه مر يوما علي صبيان يتخاصمون , فخلص بينهم , وقال لواحد منهم : ابن من أنت ؟ .
فقال له : وأيش فضولك ! فصار يرددها ويقول : أدبتني ياولدي , جزاك الله خيرا (" الطبقات الكبري " 123:1 , و " الدر المنظم " ص (3.1) , و"إجابة الداعي " ص (3.1) .
وطالما ظل ساكتا صامتا , لا يتكلم إلا عند الضرورة : كدرس ووعظ .
* * *

العودة الى فهرس المحتويات

زهده وقناعته: الزاهد الحقيقي :

لم يزل سيدنا الرفاعي يضرب به المثل في الزهد , ولا يزال – إن شاء الله – يضرب فيه إلي يوم لقيامة .
كان زهده اختياريا , لم يكن زهده اضطراريا , بل كان زاهدا حقيقيا , وقد بلغ فيه إلي منتهاه ونال أعلاه , وقام علي ذروته , وقلما كان يشاركه في صفته هذه أحد من المربين والعارفين والصوفية في عصره خاصة .
لطافة طبعه :
كان باب العطايا والهدايا عليه مفتوحا بمصراعيه , تأتي إليه الهدايا من كل جانب وكل حين وآن , ولكنه لم يكن يدخر منها أو يمسك منها لغد .
بل لا يقر له قرار إلا بعد إنفاقها علي ذوي الحاجات والمساكين والفقراء والضيوف , كأنه علي حسك السعدان يتململ , حتي ينفد ما أتي إليه وما عنده .
يقول الأستاذ السيد مناظر أحسن الكيلاني :
" ومن المعروف أن ما يأتي إليه من العطايا : ينفقه ويقسمه علي المساكين " (" مقالات إحساني " ص (193) .
ثمرة القناعة :
إن الإنسان يجد في نفسه حب المال والجاه , ويحبهما حبا جما , لطمعه فيهما , وحرصه عليهما , فيتولد منهما البخل والشح .
وكان سيدنا الرفاعي بعيدا عن الحرص والطمع , لذا لم يكن فيه حب المال والجاه , ولم يتولد منهما ذلك , بل كان سيدنا الرفاعي قانعا بما رزقه ربه .
قال صاحب كتاب " مرآة الجنان " (4.9:3). عن صفة قناعته : " كان إليه المنتهي في القناعة " .

بعده عن التكلف :
ببركه قناعته كان السيد الرفاعي بريئا من التكلف , وبعيدا عن الرياء , وعن الحظوظ الدنيوية
قال الأستاذ ظفر أحمد التهانوي عن كيفية زهده وحياته :
" كان متوحشا عن التكلف (قلت : أي : ذا وحشة , فليس بينه وبين التكلف مودة) , وينفر من التنعم , وربما كان يغسل الثياب التي علي بدنه , ولا ينزعها حتي يجف الثوب " (" البنيان المشيد " ص (9) .
بساطته في اللباس والطعام :
كان سيدنا الرفاعي يختار من اللباس ما خشن , ولا يأنف من تناول الردئ من الطعام , ولا يجمع بين قميصين , ولا يأكل إلا بعد يومين .
قال الإمام السيد عزالدين أحمد الصياد الرفاعي (" المعارف المحمدية " ص (77) :" ولا يلبس إلا الثوب الرقيق , ويقول : أمر الله تعالي أئمة الهدي أن لا يتكلفوا في لباسهم " .
وكان يقول : " من رق ثوبه , رق إيمانه " . وكان يغسل وثوبه بالأشنان والصابون .
يقول الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي : " كان لا يجمع بين قميصين , لا في شتاء ولا صيف " (" مجلة البعث الاسلامي " , ص (98) .
ويقول صاحب " المعارف المحمدية " (" المعارف المحمدية " ص (77)) عن طعامه : " كان إذا أتي له بتمر أو رطب يتناول الردئ منه , ويقول : أنا أحق به , فإنه شبيهي " .
وقال صاحب " المجموعة الصغيري " (ص (9)) : ل" لا يأكل إلا بعد يومين أو صلاصة أكلة واحدة " .
حقيقة التوكل :
كان هذا سلوكه , لا يتغير حاله ولا يتبدل منه , كان علي ذروة الزهد , متمكنا ومعتصما به , وكان إذا تمردت عليه نفسه , يحاسبها حسابا شديدا .
ونستطيع أن نقدر محاسبته لنفسه مما قال عنه الأستاذ محمد علي القلندر , صاحب " الدر المنظم " (" الدر المنظم "ص (3.1) :
" انه أتي إليه رجل للدعاء , فقال : عندي قوت يوم , ولا يستجاب دعاء من عنده قوت يوم , سأدعو لك غدا " .
الزهد المشهود له به :
المؤلفون والكتاب كلهم قد شهدو له في زهده , إنهم كلهم قد ذكروه في مؤلفاتهم , كما سموه ب " الزاهد " .
إن صفة زهده قد غلبت علي صفاته الأخري , إنا نري هذه الصفه العليا تملأ حياته الطيبة , وعلي السطر الأول يري هذا الدارس لحياته , ويعلم قبل كل شيئ أنه كان زاهدا .
لذا كان المؤلفون والكتاب الذين ترجموا لحياته الشريفة , قد أجمعوا بعد دراستهم لحياته الشريفة : أنه كان زاهدا, فقد قال العلامة السبكي: " الشيخ الزاهد الكبير.... "(" طبقات الشافعية " 4:.4) .
قال الأستاذ السيد ظهير الدين القادري :
" الولي الشهير أحمد ابن الرفاعي بين الأنام .. فهو أحد الأقطاب الكاملين , والمشايخ الزاهدين " .
وقال صاحب " الفتح " (" الفتح المبين " ص (132-179) : " كان ناسكا زاهدا " . حتي اعترف بزهده أهل الكتاب , فالمؤلف المسيحي يوسف أليان , بدأ بذكره في " معجمه " : " الإمام الزاهد .. " (" معجم المطبوعات العربية والمعربة "543:5) .
حياته أسوة حسنة :
لقد كان لنا في سيدنا الرفاعي أسوة حسنة , فقد عاش زاهدا متواضعا , قنع بالقدر الضئيل من القوت ولقمة العيش , ورضي من اللباس ما يستر جسمه .
لم تستهوه الدنيا بزخارفها ومفاتنها , ولم ترقه المباهج والملذات , وانصرف عنها , وتنكر لها .

العودة الى فهرس المحتويات

أفكاره وخواطره من خلال مواعظه القيمة

مهبط الإلفاظ
جاء في الحديث القدسي :
" ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتي أحبه , فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به , وبصره الذي يبصر به , ويده التي يبطش بها , ورجله التي يمشي بها , ولئن سألني لأعطينه , ولئن استعاذني لأعيذنه

"(رواه البخاري رقم (65.2) في الرقاق , باب التواضع .
إن سيدنا الرفاعي لا يكتفي بالقيام بالسنن العادية غير المؤكدة والمستحبات والنوافل بنفسه , بل يأمر خاصة من ينتسب إليه من خلفائه ومريديه بذلك , ويرغب من يحضر مجلسه من العامة بالقيام بالسنن العادية , مع السنن المؤكدة والأمور المستحبة والنوافل بكل اهتمام وعزيمة , فقد قال مرة (" البرهان المؤيد " ص (93-94) :
" وأقول لكم : مفتاح السعادة الأبدية : الاقتداء برسول الله – صلي الله عليه وآله وسلم – في جميع مصادره وموارده , وهيئته وأكله وشربه وقعوده , وقيامه ونومه وكلامه , حتي يصح لكم الاتباع المطلق .
بلغنا عن بعض الأئمة أنه ما أكل البطيخ , لأنه لم ينقل له كيف أكله رسول الله صلي الله عليه وسلم (قلت : بل نقل لنا ذلك كما في " سنن أبي داود " و" الترمذي" : " عن عائشة أن النبي (r) كان يأكل البطيخ بالرطب " .
زاد أبو داود في روايته : " يقول : نكسر حر هذا ببرد هذا , وبرد هذا بحر هذا " .
أما ما يذكر أن الإمام أحمد لم يأكل البطيخ , لأنه لم يعرف كيفية أكل الرسول (r) له , فغير صحيح , كما نبه عليه العلماء , ومنهم الإمام ابن مفلح الحنبلي في كتابه " الفروع " 3.8:6 .
قال رحمة الله تعالي : " وما نقل عن الإمام أحمد , أنه امتنع من البطيخ , لعدم علمه بكيفية أكل النبي (r) : كذب , ذكره شيخنا – أي : الشيخ الحافظ ابن تيمية – ". وسها بعضهم فابتدأ في لبس الخف بالرجل اليسري , فكفر عن ذلك بشيئ من الحنطة .
وإياكم أن تقول : إن هذه الخصال من الأمور التي تتعلق بالعادات فتهملوها , فإن إهمالها يغلق بابا عظيما من أبواب السعادة .
وأما العبادات , فلا أعرف لعدم اتباعه – عليه الصلاة والسلام – فيها من عذر , إلا أن يحصل ذلك من كفر خفي , أو حمق جلي , حمانا الله وإياكم ".
كان يستمر في أمر وترغيب المريدين والزائرين بالاهتمام بإقامة النوافل , وهذا دليل بين , وحجة قائمة علي أنه كان مصداقا لهذا الحديث القدسي .
التفسح في مجلسه والتوسع :
كان سيدنا الرفاعي يتكلم كلاما جامعا واضحا سهل الفهم غير مغلق , ليفهمه كل سامع , ويحفظه كل نابه , ولا يستوحش من يحضره عن أن يسأل ما يريد بدون أي تكلف وأي خوف واستيحاء.
وكان سيدنا الرفاعي يشجعهم في أسئلتهم , فيرشدهم ويهديهم إلي ما تظمئن به قلوبهم بالرفق واللين وبطلاقة الوجه .
وعندما كان يتكلم عن عصره وفتنه زفساده – محذرا من الفتن والمنكرات - , يتكلم بأسلوب النصيحة بغير النقد الجارح والتفسيق , بل ينصح بلا زجر أو توبيخ , وبأسلوب حكيم سهل غير متكلف , حلو غير مر.
كانت طريقة كلامه طريقة الإفهام والتفهيم , وكان سيدنا الرفاعي يبدأ بنفسه قبل غيره , وكثيرا ما كان أسلوبه التلميح , لا أسلوب التصريح بتطبيق ما يأمر الناس به , وبحثهم عليه فمن قوله (" البرهان المؤيد " ص (13.) . :" أيش تريد ياصوفي ؟ يافقيه ؟ يا من جمع بين الشأنين ؟ تريد أن تسب العباد وتبغي عليهم , وأن تعلو وتغلو , ما هذه والله طريقة نبيك , ولا سنة وليك صلي لله عليه وآله وسلم .
كان إذا نهي عن خلق لم يسم فاعله , ويقول : " مابال أقوم يفعلون كذا " , أو :" ما بال الرجل يقول كذا " .
وكان يقول أيضا (ف] " البرهان المؤيد " ص (13.-132) . :
" كيف إذا قلت لكم : يا أهل أم عبيدة , أنتم كذا وكذا , وشتمتكم , وأغلظت عليكم , ونسبت إليكم القبائح , ثم طرت في مجلسي هذا إلي الجو , ورجعت ؟ (قلت : أي : ظهرت كرامة من الكرامات). هل لا تبقي في قلوبكم مرارة الشتم والسب ولو غلبكم سلطان طيراني وهيبة حالي ؟ بلى والله
وكيف لو قال لكم واعظ في مسجد الشط علي حصيرة مقطوعة بثياب رثة : أي أحبابي , أي إخواني , شارب الخمر ملعون , الكذاب ملعون , الظالم ملعون , وكان في مجلسه من ابتلاه الله بهذه الأوصاف , هل تنفر نفسه من الرجل نفرة استعظام ؟ أو تأخذه حالة فقره وانكساره إلي التوبة وإن لعبت نفسه عليه ؟ .
وأي حال أقرب ؟ بلي والله حال الاتعاظ بتجرد الرجل عن نفسه وحوله وطوله أقرب وأشد وقعا في النفوس من الغلبة القاهرة , فإن الغلبة القاهرة تبقي بقية مضمرة في النفس كيف كانت , وحالة الانكسار لا تبقي ولا تذر .
تدخل إلي دائرة النفس فتطهرها , وإلي دائرة القلب فتقر فيه , ولا يبقي معها ضدها أبدا .
فإذا وعظتم الناس , إياكم والتصريح , وخذوا بالتلويح , فإن هناك رائحة السنة , وشمة النفحة النبوية , وبها – والله – يصلح الله القلوب , فلا حاجه معها لأحوالكم أبدا ".

العودة الى فهرس المحتويات

الظروف والملابسات التي عاشها :

كان عصره عصر فتن وشرور , ففيه فتن المؤمنون في العقائد الأساسية التي هي أصل الأعمال بوجه خاص , فلم تبق هناك أهمية لظواهر الأعمال ولتكاليف الشرع الشريف من الصوم والصلاة والحجاب الشرعي / مصلا .
وكان الناس في هذا العصر قد تأثروا ببعض أقوال جهلة المتصوفين , الذين دأبوا علي تحقير العلم والعلماء , وظواهر الأعمال الشرعية من الأخلاق والعبادات .
وكذلك العلماء من جهتهم أخذتهم العزة بالإثم فحملوا علي الصوفية, وأفتوا بتكفيرهم, وأنهم زنادقة .
فحصلت القطيعة والوحشة بين هؤلاء العلماء والمتصوفين , مما حدا بسيدنا الرفاعي إلي أن يبدأ بدعوة عظيمة للتقريب بين الطائفتين , وجمعهم علي هي الكتاب والسنة .
فكان طريق سيدنا الرفاعي طريق الحكمة والموعظة الحسنة , وتأليف القلوب دون تفريط في الدين بين الفقهاء والصوفية .
قال مرة (في كتابه " البرهان " ص (61) . عن العارفين الواصلين :
" وقليل ما هم , أخلصوا فتخلصوا من قيد الرقية , ووصلوا إلي مقام الحرية , ما ملكتهم الأغيار , كلا بل هم الأحرار كل الأحرار , كانوا وبانوا , رحم الله القائل :
أتمني علي الزمان محالا أن تري مقلتاي طلعة حر "
ثم يقول سيدنا الرفاعي (البرهان المؤيد ص (61)) :
" نحن في زمان عمت فيه الجهالة , وكثرت به البطالة , وفشت فيه الدعوى الكاذبة (ومن لطيف ما قيل في هذا المعني :
خلق الله للعلوم رجالا ورجالا لنفشة ودعاوي)
أيش نعل ؟ تحرج علي من ؟ أكثر الناس سلكوا هذه الطرق , دارهم مادمت غي دارهم , وحيهم ما دمت في حيهم .
ولكن ما الفائدة من مداراة تأخذهم بها العزة , ومن تحية تمكن فيهم الغفلة ! .
اصدع بما تؤمر , وأعرض عن الجاهلين , وآمر بالعرف " .
كان هذا العصر عصر النفس الأمارة بالسوء , ساد فيه العدجب والكبر , وكثرت فيه الدعاوي والأنانية .
أما العجز والانكسار والذلة لله تعالي والمسكنة , فكانت هذه الأوصاف الحميدة شبه معدومة .
مجالس مشايخ عصره :
إن مجالس مشايخ عصره , كانت مجالس المعارف والأسرار , كانوا يتكلمون عن الأحوال والمواجيد والرموز والكيفيات فقط , صارفين نظرهم عن الدعوة للتمسك بالأعمال الشرعية الطاهرة , والأخلاق الفاضلة الحسنة , والمعاملات السنية , والالتزام بحفظ الحدود الشرعية , ظانين أن هذا الموضوع الأخيرا أحط لهم شأنا , فلا يبالون به , ولا يحسبون له حسابا , باعتباره شأن العوام من الناس .
ترياق العصر :
لكن الإمام الرفاعي بعدما تفقد ما حوله وما في عصره , وذلك بعد المشاهدة , قام بالدعوة إلي إعلاء شأن الشرع الشريف , وتوقير الفقهاء , وإجلال العلماء , وبيان أهمية الأخلاق الفاضلة , والعادات الصالحة , وحفظ الحدود .
وبين فضل الزهد والقناعة , ومذمة طلب الجاه والشهرة والمدح , ودعا إلي التواضع والانكسار , والعجز وتحقير الكبر والغرور والعجب والرياء .
وكان سيدنا الرفاعي كثيرا ما يتكلم في مجلسه الشريف عن حقيقة الدنيا , وسرعة زوال نعمتها , وعن حقيقة الآخرة ودوامها , وما بعد الموت من حساب وثواب وعقاب .
وكانت هي الموضوعات التي يتكلم بها في مجلسه دائما بأساليب مختلفة , وها نحن نقدم نماذج من كلامه العالي ومواعظة , منتخبة بترتيب خاص بها ,- إن شاء الله - , لنعرف لون مجلسه وأسلوب كلامه الشريف :
التوحيد :
قال – رضي الله عنه – عن التوحيد (البرهان المؤيد ص (18):
"نزهوا الله عن سمات المحدثين وصفات المخلوقين بالاستقرار كاستواء الأجسام علي الأجسام , المستلزم للحلول , تعالي الله عن ذلك ! ".

" إذا قلتم : لا إله إلا الله . فقولوها بالإخلاص الخالص من الغيرية , ومن خطورات التشبيه والكيفية , والتحتيو والفوقية , والبعدية والقربية " (البرهان المؤيد ص (2.) .
النبوة:
" أي سادة ! عظموا شأن نبيكم , هو البرزخ الوسط الفارق بين الخلق والحق .
عبدالله , حبيب الله , رسوالله , أكمل خلق الله , أفضل رسل الله .
اعلموا أن نبوة نبينا – صلي الله عليه وسلم – باقية بعد وفاته , كبقائها حال حياته , إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها . وجميع الخلق مخاطبون بشريعته الناسخة لجميع الشرائع "(البرهان المؤيد ص (22).
القرآن :
قال الإمام الرفاعي عنه :
" ومعجزته (r) باقية , وهي القرآن , قال الله تعالي :
(قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ‘‘ من سورة الإسراء , الآية (88) .
الحديث :
" أي سادة , من رد أخباره الصادقة , كمن رد كلام الله تعالي , آمنا بالله , وبكتاب الله , وبكل ما جاء به نبينا محمد رسول الله , صلي الله عليه وسلم "(البرهان المؤيد ص (22) .
آل النبي :
هم أهل البيت الكرام , وأجداد الإمام الرفاعي الحسيني العلوي الهاشمي رضي الله تعالي عنهم , قال الإمام عنهم :
" نوروا كل قلب من قلوبكم بمحبة آله الكرام , عليهم السلام , فهم أنوار الوجود اللامعة , وشموس السعود الطالعة , ومن أحبهم كان معهم , وهم مع أبيهم عليه الصلاة والسلام .
قدموهم عليكم , ولا تقدموهم , وأعينوهم , وأكرموهم : يعد خير ذلك عليكم " (البرهان المؤيد ص _23-24) .
قال تعالي : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى " , الآية (23) .
الصحابة :
قال الإمام عنهم (ص (22-23).
" الصحابة – رضي الله عنهم – كلهم على هدي , روي عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه قال : " أصحابي كالنجوم , بأيهم اقتديتم اهتديتم " (قال في " كشف الخفاء " 147:1 : " رواه البيهقى , وأسنده الدليلمي عن ابن عباس بلفظ :" أصحابي بمنزلة النجوم في السماء , بأيهم اقتديتم اهتديتم ").
يجب الإمساك عما شجر بينهم, وذكر محاسنهم , ومحبتهم , والثناء عليهم رضي الله عنهم أجمعين .
فأحبوهم , وتبركوا بذكرهم , واعملوا علي التخلق بأخلاقهم .
قال النبي – عليه السلام – لأصحابه : " أوصيكم بتقوي الله , والسمع والطاعة , وإن تأمر عليكم عبد , فإنه من يعش منكم , فسيري اختلافا كثيرا , فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين , عضوا علهيا بالنواجذ , وإياكم ومحدثات الأمور , فإن كل بدعة ضلالة "(رواه أبو داود رقم (46.7) في السنة , باب في لزوم السنة , والترمذي رقم (2676) , في العلم , باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع .
ورواه أيضا ابن ماجه (42) في المقدمة , وأحمد في " المسند " 127:4).
أولياء الله :
أما عن الأولياء فقال (البرهان المؤيد ص (24) :
" الولي من واد الله , وآمن به , واتقاه , فلا تحادوا من واد الله , جاء في بعض الكتب الإلهية : " من آذي لي وليا , فقد آذنته بالحرب " (رواه البخاري رقم (65.2) في الرقاق , باب التواضع بلفظ : " من عادي لي ...")
الله يغار لأوليائه , ينتقم لهم ممن يؤذيهم , ويكرمهم بصون محبيهم , وعون من يلوذ فيهم .
هم أخص المخاطبين بآية: (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ " من سورة فصلت , الآية (31) .
عليكم بمحبتهم والتقرب إليهم , تحصل لكم بهم البركة كونوا معهم : (أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ " من سورة المجادلة , الآية (22).
مراعاة الحدود والالتزام بها :
" أي سادة : حدوا المراتب , وإياكم والغلو , أنزلو الناس منازلهم .
أشرف النوع الإنساني الأنبياء عليهم الصلاة والسلام , وأشرف الأنبياء نبينا محمد صلي الله عليه وآله وسلم,

واشرف الخلق بعده آله وأصحابه, وأشرف الخلق بعدهم التابعون أصحاب خير القرون .
هذا علي وجه الإجمال , وأما علي وجه الإفراد , فالنص النص ' وإياكم والأخذ بالرأي , فما هلك من هلك إلا بالرأي .
هذا الدين لا يحكم فيه بالرأي أبدا , حكموا آراءكم في المباحات : (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ " من سورة النساء الآية (59).
اذكروا الأولياء بخير , إياكم وتفضيل بعضهم علي بعض , رفع الله تعالي بعضهم علي بعض درجات , لكن لا يعرفها غيره ومن ارتضي من رسول .
أيدوا هذه العصابة بترك الدعوي , شيدوا أركان هذه الطريقة المحمدية بإحياء السنة وإمانة البدعة "(البرهان " ص (24-25) .
الإخلاص :
" خذوا نتائج الأعمال بخالص النية , فقد قال سيد البرية – عليه أفضل الصلاة والسلام والتحية - : إنما الأعمال بالنيات " (رواه البخاري رقم (1) في بدء الوحي , و(54) في الإيمان , و(2529) في العتق , و (3898) في مناقب الأنصار , و (5.7.) في النكاح , و(6689) في الأيمان , و (6953) في الحيل , واللفظ له . ومسلم رقم (19.7) في الإمارة .
العمل بالأركان :
" أحكموا أعمالكم علي الأركان الخمسة , التي بني عليها الإسلام " (البرهان ص (2.) .
الشهادتان , والصلاة , والصيام , والزكاة , والحج .
العمل بالسنة :
" أي سادة , الفقير علي الطريق مادام علي السنة , فمتي حاد عنها زل عن الطريق " (البرهان ص (25) .
العمل بالشرع :
وقال عن الشرع الشريف (البرهان ص (69) :
" أي سادة , كونوا مع الشرع في آدابكم كلها , ظاهرا وباطنا , فإن من كان مع الشرع ظاهرا وباطنا , كان الله تعالي حظه ونصيبه , ومن كان الله تعالي حظه ونصيبه , كان من أهل مقعد صدق عند مليك مقتدر " .
" حكم في كل قول وعمل شريعة نبيك , السيد العظيم القدر صلي الله عليه وسلم " (" النظام الخاص لأهل الاختصاص " ص (4.) .
العبدية :
هي / أي أن تكون عبدا خالصا لله تعالي .
قال عنها الإمام الرفاعي (في البرهان ص (75) : " أي سادة , العبدية خقها الانقطاع عن غير السيد بالكلية , العبدية ترك كل كلية وجزئية .
العبدية رد القصد عن طلب كل مزية , العبدية عدم رؤية العبد لنفسه علي إخوانه رفعة أو فوقية .
العبدية الوقوف عند ما حد للطينه الآدمية , العبدية الخشية والخضوع تحت مجار الأقدار الربانية .
لا يكون العبد عبدا كاملا , حتي يصل إلي مرتبة الحرية والتخلص من رق الأغيار بالكلية " .
علم الشرع :
كان سيدنا الرفاعي يقول عن علم الشرع :
" أطلبوا العلم من المهد إلي اللحد (" النظام الخاص لأهل الاختصاص " ص (98) , للإمام السيد الكبير الرفاعي رضي الله عنه) . (أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ " , الآية (67) .
" من انقطع عن مجالسنا لأجل قراءة القرآن العظيم , أو لطلب العلم , فهو مجاز , فإن القرآن مآدبة الحق , والعلم سلم القرب ونور الحقيقة "(" الطريقة الرفاعية " ص (44) .
" ركعتان من فقيه في دينه , أفضل عند الله من ألفي ركعة من فقير جاهل في دينه " (البرهان " ص (77) .
" أي سادة , تقولون : قال الحارث , قال أبو يزيد , قل الحلاج . ما هذا الحال ؟ قبل هذه الكلمات , قولوا : قال الشافعي , قال مالك , قال أحمد , قال النعمان .
صححوا المعاملات البينية , وبعدها تفكهوا بالمقولات الزائدة , قال الحارث وأبو زيد , لا ينقص ولا يزيد , وقال الشافعي ومالك , أنجح الطرق وأقرب المسالك .
شيدوا دعائم الشريعة بالعلم والعمل , وبعدها ارفعوا الهمة للغوامض من أحكام العلم وحكم العمل .
مجلس علم أفضل من عبادة سبعين سنة " (قلت : أي / من العبادات الزائدة عن المفروضات , التي يتعبد

بها بغير علم , فافهم , وانظر " البرهان " ص (79-8.) .
حقوق العلماء :
يقول الإمام الرفاعي عن العلماء وحقوقهم :
" فإياكم وإهمال حقوق العلماء , وعليكم بحسن الظن فيهم جميعا " .
" العلماء ورثة الأنبياء " (أخرجه أبو داود رقم (3641) , والترمذي (2683) , وابن ماجه في " المقدمة "(223) .
هم سادات الناس , وأشرف الخلق , والدالون علي طريق الحق " (البرهان ص (77-78).
" لا تقطعوا الوصلة مع العلماء , جالسوهم , خذوا عنهم , لا تقولوا : فلان غير عامل . خذوا من علمه واعملوا به , ودعوه وعمله إلي الله .
الأولياء – رضي الله عنهم – يأخذون الحكمة , لا يبالون من أي لسان ظهرت , وعلي حجر كتبت , وبواسطة أي كافر وصلت " (البرهان ص (81) .
محبة الأولياء :
الأولياء قناطر الخلق , يعبر الموفقون عليهم إلي الله تعالي, أولئك العاملون, المخلصون الخالصون .
استخلصهم تعالي لعبادته , وقربهم من حضرته , فما حجب قلوبهم حجاب الغين طرفه عين , أخرجوا البين من البين , أقامو طلاسم الكتم علي الأسرار , وقاموا الليل , وصاموا النهار .
بعضهم غلب عليه الفكر , وبعضهم غلب عليه الذ كر وبعضهم جمع شتات الأمر : (رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ " من سورة النور الآية (37).
أوصيكم كل الوصية – بعد علم واجبات الدين – بصحبتهم , فإنها ترياق مجرب .
عندهم رأس الأمر كله , عندهم الصدق والصفاء , والذوق والوفاء , والتجرد من الدنيا , والتجرد من الأخري , والتجرد إلي المولي .
وهذه الخصال لا تحصل بالقراءة والدرس والمجالس , لا تحصل إلا بصحبة الشيخ العارف الذي يجمع بين الحال والمقال , يدل بمقاله , وينهض بحاله , أولئك الذين هداهم الله , فبهداهم اقتده " (البرهان ص (81-82) .
الأمراض القلبية :
وكان قول عن الأمراض الباطنية والقلبية :
" أحذركم أوصافا وخصالا , إياكم إياكم والاتصاف بشيئ منها , فإنها السم الناقع .
أوصيكم بتقوي الله , والتباعد عن الخصال المذكورة :
وهي : الحسد / وهو إرادة زوال نعمة المحسود .
و : الكبر / وهو أن يري المرء نفسه خيرا من غيره .
و : الكذب / وهو اختراع كلام علي خلاف الواقع , وقول قبيح عار عن صفة المنفعة .
و : الغيبة / وهي بيان خبث البشرية .
و : الحرص/ وهو عدم الشبع من الدنيا .
و : الغضب / وهو غليان الدم لإرادة الانتقام .
و : الرياء / وهو الاستبشار برؤية الأغيار .
و : الظلم / وهو متابعة النفس علي ما تشتهيه (البرهان ص (9.).
حسن الخلق :
وكان الإمام الرفاعي يقول عن الأخلاق :
" أكرموا الضيفان , فإن ذلك كان من عباده (r) قبل أن تأتيه النبوهة .
خالقوا الناس بخلق حسن , فإن الخلق الحسن أفضل الأعمال , يقال : إذا لم تسع الناس بمالك , فسع الناس بخلقك , " أحسن الحسن الخلق الحسن " (رواه أبو العباس المستغفري في " المسلسلات " وابن عساكر في " تاريخه " .
يبلغ صاحب الخلق الحسن رتبة الصائم القائم , وهو علي فراشه نائم , لأن ذلك بعد المفروضات أفضل ما يتقرب به إلي الله تعالي "(البرهان ص (98).
خدمة الخلق :
وكان الإمام الرفاعي يقول عن خدمة الخلق :
" قوموا بقضاء حوائج خلق الله ما استطعتم , فإن من قضي لأخيه المؤمن حاجة في الدنيا , قضي الله له سبعين حاجة في الآخرة " (البرهان ص (97-98) .

" وقم بقضاء حوائج اليتامي , وأكرمهم , وأكثر التردد لزيارة المتروكين من الفقراء , وبادر لخدمة الأرامل , وارحم ترحم " (البرهان (ص (115) .
" وارحم أهلك وولدك وزوجك وخادمك "(البرهان ص (116) .
ذم الأنانية :
وعن ذلك قال الإمام الرفاعي " البرهان " ص (45-46).
" يا أخي لو كلفت قلبك لباس الخشية , وظاهرك لباس الأدب , ونفسك لباس الذل , وأنانيتك لباس المحو , ولسانك لباس الذكر , وتخلصت من هذه الحجب , وبعدها تلبست بهذه الثياب (قلت : أي : الثياب التي يلبسها السادة الصوفية) كان أولي لك ثم أولي .
لكن كيف يقال لك هذا القول , وأنت تظن أن تاجك كتاج القوم ! وثوبك كثوبهم !؟ كلا ! الأشكال مؤتلفة , والقلوب مختلفة .
لوكنت علي بصيرة من أمرك خلعت أباك (قلت : من حيث الافتخار به) وأمك , وجدك وعمك , وقميصك وتاجك , وسريرك و معراجك , وأتيتنا بالله الله , وبعد حسن الأدب لبست , وأظنك بعد الأدب تقطع نفسك عن الثوب والعوارض القاطعة .
أي مسكين ! تمشي مع وهمك ؟ مع خيالك ؟ مع كذبك ؟ مع عجبك وغرورك ؟ وتحمل نجاسة انانيتك , وتظن أنك علي شيء !؟ وكيف يكون ذلك ؟ .
تعلم علم التواضع , تعلم علم الحيرة , تعلم علم المسكنة والانكسار ".
فضيلة الذل والانكسار :
" أي سادة ! من طرق الباب بالخضوع , فتح له بالقبول , ومن دخل الرحاب بلانكسار , جلس في بيت العزة " (البرهان ص (113) .
" أي سادة ! الطرق إلي الله تعالي بعدد أنفاس الخلائق , وإني لم أر أقرب وأوضح وأيسر وأصلح وأرجي / من طريقي الذل والانكسار , والخضوع والافتقار .
وما وصل المقربون إلي الكشف والمشاهدة / إلا بترك الاختيار , وكثرة التواضع والانكسار " (النظام الخاص لأهل الاختصاص " ص (57) .
" من علم ما يحصل له (قلت : أي : ما هو قادم عليه من الحساب والثواب والعقاب) , وهان عليه ما يبذل .
من استقام بنفسه , استقام به غيره , كيف يستقيم الظقل والعود أعوج ؟
الفقير إذا كسر نفسه , وذل وانداس , واخترق بنار الشوق والصدق , وثبت في ميدان الاتسقامة بين يدي الله تعالي , صار معدن الخيرات , ومقصد المخلوقات , وصار كالغيث / أين وقع نفع , ويكون حينئذ رحمة وسكينة علي خلق الله تعالي " (الحكم ص (51).
" بذلت نفس , ولم أترك طريقا إلا سلكته , وعرفت صحته بصدق النية والمجاهدة , فلم أجد أقرب وأوضح وأحب من العمل بالسنة المحمدية , والتخلق بخلق أهل الذل والانكسار , والحيرة والافتقار .
كان الصديق الأكبر السيد أبوبكر رضي الله عنه – يقول : الحمدلله الذي لم يجعل الوصول إليه إلا بالعجز " (البرهان ص (7.-71) . قلت : والعجز عن درك الادراك : إدراك).
" ما أقبح الصوفي البطال ! يدعي الزهد وعينه في المال , ويده ممدودة للسؤال !.ليس من الهمة أن يري الرجل نفسه آخذا , بل الهمة أن يري الرجل نفسه معطيا , سفل اليد أصعب من قطعها .
احترف بما تصل إليه قوتك , ويبلغه إمكانك , أدني حرفة من الأعمال والصنائع فيها – لو فقهت – أشرف صفه درج عليها أهل الهمم , وهي / الترفع عن نوال زيد وعمرو , ركونا إلي كرم الله سبحانه .
قال رسول الله (r) : " إن الله يحب أن يري عبده تعبا في طلب الحلال "(رواه ابن أبي الدنيا , ورواه الدليمى عن علي رضي الله عنه).
انسجوا وشي صنعاء (وشي فلان الثوب , وشيا , وشية : نمنمه ونقشه وحسنه) , وبز فارس (البز : الثياب) , وخز (الخز من الثياب : ماينسج من صوف وإبريسم , أو ما ينسج من إبريسم خالص , وهو الحرير) إشبيلية بين سواري (جمع سارية , وهي الأسطوانة , وهي العمود . أروقتكم بهذه القرية , واجمعوا بين صنائع العرب والفرس والروم , وتصدقوا من كسبكم علي إخوانكم حلالا طيبا "(النظام الخاص " ص (44-46) .

العودة الى فهرس المحتويات

وصية سيدنا الرفاعي :

سيدنا الرفاعي يوصي أصحابه فيقول :
" أي سادة ! أحذركم الدنيا , وأحذركم رؤية الأغيار , الأمر صعب , والناقد بصير .
إياكم وهذه البطالات , إياكم وهذه الغفلات , إياكم والعوالم , إياكم والمحثات , اطلبوا الكل بترك الكل , من ترك الكل نال الكل , ومن أراد الكل فاته الكل .
كل ما أنتم عليه من الطلب لا يصلحه إلا تركه والوقوف وراءه , وحدوا المطلوب تندرج تحت توحيدكم كل المطالب .
من حصل له الله , حصل له كل شيء , ومن فاته الله , فاته كل شيء.
بالله عليكم هذه المعرفة تمر , هيهات هيهات ! من خرج عن نفسه وغيره , وصفع أبهة طبعه , تخلص من قيد الجهل , ليس الأمر كما تظنون "(البرهان ص (37-38) .
" أي إخواني ! لا تخجلوني غدا بين يدي العزيز سبحانه وقد سبقكم أصحاب الأعمال المرضيات , كل نفس من أنفاس الفقير : أعز من الكبريت الأحمر (هو الياقوت الأحمر , وهو من الجواهر النفيسة) .
إياكم وضياع الأوقات , فإن الوقت سيف , إن قطعه الفقير قطعه , قال تعالي : (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَانِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ " من سورة الزخرف الآية (36).
عليكم بالأدب , فإن الأدب باب الأرب . حكي عن سعيد بن المسيب أنه قال : من لم يعرف ما الله عليه في نفسه , ولم يتأدب بأمره ونهيه / كان من الأدب في عزلة , قال الله تعالي : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ " من سورة فاطر الآية (28).
سئل الحسن البصري – رضي الله تعالي عنه – عن أنفع الأدب ؟
فقال : التفقه في الدين , والزهد في الدنيا , والمعرفة بحقوق الله تعالي علي عبده .
وقال سهل بن عبدالله رضي الله عنه : من قهر نفسه بالأدب , عبد الله بالإخلاص .
ومن الأدب أيضا : الأدب مع المشايخ , فإن من لم يحفظ قلوب المشايخ , سلط الله عليه الكلاب التي تؤذيه.
أدب صحبه من فوقك : الخدمة , ومن هو مثلك : الايثار والفتوة ومن دونك : الشفقة والتربية والمناصحة .
صحبه العارف مع الله بالموافقة , ومع الخلق بالمناصحة , ومع النفس بالمخالفة , ومع الشيطان بالعداوة .
إنكار العبد نعمة الله : من موجبات السلب .
أنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون , إن الله إذا وهب عبده نعمة ما استردها , شكر النعمة , معرفة قدرها .
منن أراد أن تدوم نعمته , فليعرف قدرها , ومن أراد أن يعرف قدرها فليشكرها .
الشكر – ما قاله الجنيد رضي الله عنه – وهو : " أن لا يستعين العبد بنعمته تعالي علي معصيته " (البرهان ص (34-35) .
وقال (البرهان ص (33-34). : "أي سادة ! ما قلت لكم إلا ما فعلته وتخلقت به , فلا حجة لكم علي .
إذا رأيتم واعظا أو قاصا أو مدرسا , فخذوا منه كلام الله تعالي , وكلام رسوله (r) , وكلام أئمة الدين , الذين يحكمون عدلا , ويقولون حقا , واطرحوا مازاد .
وإن أتي بما لم يأت به رسول الله (r) , فاضربوا به وجهه .
الحذر الحذر من مخالفة أمر النبي العظيم , صلوات الله وسلامه عليه , قال تعالي : (فَلْيَحْذَرْ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " من سورة النور الآية (63).

العودة الى فهرس المحتويات

أحاديثه في المجالس :

إن الله سبحانه وتعالي قد وفق بعض عباده لجمع كلامه , وذلك كي يستفيد خلقه ومن حرموا من مجلسه الشريف وصحبته المقدسة .
ومن مجموعة كلامه الذي سجله خلفاؤه ومريدوه هذه الآثار العلمية :
" المجالس الرفاعية " .
" الآثار النافعة " .
" الحكم الساطعة "(ذكر هذه الثلاثة صاحب " رموز الفقراء " ص (58).
" رحيق الكوثر من كلام الغوث الرفاعي الأكبر "(طبعه الشيخ الجليل , والولي العارف الأصيل , ناشر

تراث سادات واسط , الذي ما شهدت الطريقة الأحمدية الرفاعية مثله في الحب والتعظيم والانفاق , وبذل ما في الوسع دون هوادة : / السيد الشيخ عبدالحكيم بن سليم عبدالباسط , دفين بقيع الغرقد , رحمة الله عليه) .
" البرهان المؤيد " (لقد نقله إلي الأردية بلغة الهند الأستاذ ظفر أحمد التهانوي , وسماه " البنيان المشيد " , طبع في مكتبة صديق بكر بور في سنة 1391 هـ , ووضع مقدمته حكيم الأمة المرشد الروحاني الشيخ أرشد التهانوي , من كبار علماء جامعة " ديوبند " الشهيرة في الهند).
" البرهان المؤيد " :
إن مجموعة كلامه " البرهان المؤيد " , ذكر فيه ما انتشر في عصره خاصة من بدع ومنكرات , وأوهام ومغالطات , وإن كان سيدنا الرفاعي قد نشأ نشأة دينية صالحة , وعاش طوال حياته بين الصلحاء والفقراء , ولكنه كان متصلا بالمجتمع اتصالا وثيقا , وقد درس أخلاق مختلف الطبقات :
طبقة الفقراء والصوفية , وطبقة الأمراء والحكام خاصة / دراسة عميقة واعية .
إن هذا الكتاب ليدل دلالة واضحة علي قوة ملاحظته , ودقة نظره , وتبحر علمه , وذوقه السليم , وعلي عواطفه الجياشة , وحرصه علي الإصلاح وهداية المسلمين .
إن الله يد أيد شريعة حبيبه – صلي الله عليه صلاة دائمة – بكلام سيدنا الرفاعي , فقد محي الله بكلامه المؤثر ما ابتدعه علاة المتصوفين في دين حبيب الله عليه السلام : من معتقدات دخيلة وباطلة 1.
إن هذا الكتاب الجليل الذي عز شأن سبكه عن المثيل , الذي جمعه من مجالس وعظه وكلامه , ودونه :أحد خلفائه , الشيخ شرف الدين بن الشيخ عبدالسميع الهاشمي الواسطي , يعتبر برهان التصوف الإسلامي الصحيح , وبرهانه الصريح.
قال الشيخ عبدالكريم بن محمد الرافعي :
" قال لي شيخنا القوصي : ما قرأ هذا بالكتاب – يعني " البرهان المؤيد " علي أهل مجلس , / إلا زظهرت عليهم نفحات العرفان والإخلاص , والتمكن والوقوف عند الحدود المرضية الشرعية (سواد العينين ص 74-75).

العودة الى فهرس المحتويات

شهادة رجال العلم والبصيرة بفضله وكماله

الشهادة المقبولة :
قال سماحة الشيخ المؤرخ الكبير السيد أبو الحسن علي الندوي , في كتابه القيم " رجال الفكر والدعوة " (الجزء الأول) :
" إن ثناء حشد من الناس علي رجل , لا يعتبر دليلا علي قبوله عند الله واستقامته وعلو منزلته .
أما إذا شهد له رجال العلم والبصيرة وأصحاب الصلاح والتقوي , فلا شك أنه يعتبر دليلا علي قبوله وعلو منزلته.
ولابد من أن يتصف أتباعه ومحبوه وجلساؤه / بالصلاح وحسن الاعتقاد والتقوي والاهتمام بالأخوة , ويمتازوا بين أبناء عصرهم في تدينهم وحسن سيرتهم " (قلت : قال الإمام السيد الرفاعي في " البرهان " ص (82): " حالة الشيخ – كمالا كانت أو نقصانا – تظهر في أتباعه ومريديه , بطنا بعد بطن , فإن كانت حالة كمال , علا بها حال الكامل , وزاد بها حال الناقص , وإن كانت حاله نقص , نقص بها حال الكامل , وذهب بها حال الناقص , إلا إن وهب الكريم فلا تأثير للأحوال.
إياكم وإبقاء أثر ينقص حال كمل أتباعكم , ويذهب حال ناقصهم الرجل من تظهر آثاره بعده ".
وقال في كتابه " الحكم " ص (13) : " دفتر حال الرجل :أصحابه " . وفي " البرهان " ص (84) عن الشيخ منصور قوله : " صحيفة حال الشيخ : أتباعه ".
وهذا ماتحقق للسيد الإمام الرفاعي بفضل الله تعالي ورحمته .
الرجل المقبول المؤيد من الله :
هذا كان شأن سيدنا الرفاعي , فقد شهد بفضله وقبوله وكماله وتقواه وولايته وعلو منزلته وصحه اعتقاده : أتباعه.
وسلامة عقيدة أصحابه , وامتياز جلسائه بين أقرانهم وأبناء عصرهم في تدينهم وحسن سيرتهم , وفي العبادة والذكر والتلاوة والاهتمام بالآخرة , وخدمة الدين والدعوة والإرشاد , شهدها كبار رجال العلم والبصيرة , وأصحاب الصلاح والرشد , كما اعترفوا بقبوله عند الله وفضل أصحابه وأتباعه علي الناس .
شهادة الإمام الشيخ الجيلي رحمه الله :

إن المرشد الكبير الشيخ السيد عبدالقادر الجيلاني , الذي كان معاصرا للسيد الإمام الرفاعي , وكبير الأولياء من رجال العلم والبصيرة , سأله سائل عن سيدنا الرفاعي فقال :
" أي فقير , هذا رجل لا يعرف ولا يحد , ولا يصل إلي مقامه غير ربه أحد .
هذا رجل خلقه الشرع والكتاب , وقلبه مشغول برب الأرباب , ترك الكل , فنال الكل .
خلقه حسرة الرجال , وحاله منتهي الأحوال , ومقامه غاية الآمال , وبابه محط الرحال .
من أراد أن يري الرجل المتمكن الذي لا تحركه الزعاع , فليذهب إلي أم عبيدة , فإن صاحبها الرجل المتمكن في كل مقام وطور , ودونه الرجال , وإن الله يرحم الوقت الذي يكون فيه مثل هذا الجهبذ.
إن السيد أحمد حجة الله علي أوليائه اليوم, وصاحب هذه المأدبة" ("سواد العينين " ص (61-63).
شهادة الإمام محمد البصري :
قال الشيخ محمد البصري : " كل الأولياء أدركنا مقاماتهم وما وصلوا إليه , وعرفنا منتهاهم في السير , إلا السيد أحمد الرفاعي , فإنه لا يعرف منتهاه في السير , وإنما رجال عصرنا علي الإطلاق يعرفون الوجهة التي اتجه إليها, ومن ادعي الوصول إلي مرتبته , أو الاطلاع علي رتبته , فكذبوه .
أي إخواني ! هذا رجل لا يعرف , ولا يحد ... وهو شيخ الكل في الكل "(:سواد العينين "ص (58-59).
شهادة الإمام عبدالسميع الواسطي :
إن الشيخ عبدالسميع الهاشمي الواسطي كان يقول لأصحابه : " كان السيد أحمد آية من آيات الله , ومعجزة من معجزات رسول الله يمشي علي وجه الأرض .
ماوقعت الأبصار علي نظيره في عصره , قل في السلف مثيله , ولا يوجد في الخلف عديله .
كان طريقه الكتاب والسنة , كان فعالا لا قوال.
وحكم عليها . قهر حاله , وغلب طوره , كان إماما عالما عدلا , لو رأيته لرأيت كل السلف .
وليس علي الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد "("سواد العينين "ص (59) .
شهادة الإمام إبراهيم الهوازني :
قال الشيخ الولي إبراهيم الهوازاني عن حال سيدنا الرفاعي " أي أخي ! السيد أحمد جعل كل أوقاته آدابا , وجعل لكل عضو من أعضائة أدبا .
يعرف شامخ رتبته : الصادقون والكاذبون والمدعون والمحققون .
كل حركاته وسكناته وأطواره وأحواله , دلائل واضحة , وإمارات لائحة , تدل علي طهارة قلبه , ومرقاة سره , ووفاء عهده , وحفظ وقته , وقلة التفاته إلي العوارض , وإعراضه عن الأغيار , وإقباله بكليته علي الملك الجبار " (" سواد العينين " ص (64).
شهادة الإمام السبكي :
قال العلامة تاج الدين السبكي عن سيدنا الرفاعي (" طبقات الشافعية " 4:.4) :
" الشيخ الزاهد , أحد أولياء الله العارفين , والسادات المشمرين , أهل الكرامة الباهرة " .
شهادة الإمام الشعراني :
وكذلك العلامة عبدالوهاب الشعراني قال (في " الطبقات الكبري " 121:1) عن سيدنا الرفاعي :
" انتهت إليه الرياسة في علوم الطريق , وشرح أحوال القوم , وكشف مشكلات منازلاتهم , وبه عرف الأمر بتربية المريدين بالبطائح , وتخرج بصحبته جماعة , وتتلمذ به خلائق لا يحصون , ورثاه المشايخ والعلماء .
وهو أحد من قهر أحواله , وملك أسراره , وكان له كلام عال علي لسان أهل الحقائق " .
شهادة الشيخ الوردي :
وكذلك العلامة المؤرخ الحموي , زين الدين عمر بن الوردي قال :
" كان صالحا , ذا قبول عظيم عند الناس , وله من التلامذة ما لا يحصي "(" الفتح المبين " ص (154).
شهادة الشيخ اليافعي :
أما العلامة عبدالله بن أسعد اليافعي اليمني فقال :
" كان إليه المنتهي في التواضع , والقناعة , ولين الكلمة , والذل , والانكسار لله تعالي , والإزدراء لنفسه , وسلامة الباطن " (" مرآة الجنان " 419:3).
شهادة الإمام الألوسي :
كذلك فإن المفسر الكبير محمود بن عبدالله الألوسي , يذكر سيدنا الرفاعي بـ : " حضرة الولي الكامل , الشيخ أحمد الرفاعي قدس سره " (" روح المعاني " 373:5).
شهادة الشيخ القادري :

وأما الشيخ السيد ظهير الدين القادري , فقد قال :
" اعلم أن الشيخ الكبير , صاحب الفضل بالشهير , أحمد ابن الرفاعي قدس سره , ممن لا شك في رفعة قدره , وعلو همته في الإرشاد والتقوي والاتباع للشرع الشريف , الذي هو العروة الوثقي .
وكان – قدس سره – فيما بلغنا فقيها , عابا , ناسكا , زاهدا , صالحا , ورعا , يحض علي الاتباع , والبعد عن أهل الابتداع "(" الفتح المبين " ص (123).
شهادة الإمام الفقيه أبي شجاع الشافعي :
وعنه قال الشيخ أبو شجاع الشافعي , صاحب كتاب " متن الغاية والتقريب " في الفقه الشافعي :
" كان السيد أحمد الرفاعي – رضي الله عنه – ذا روايات عاليات , وإجازات رفيعات .
أعلم أهل عصره بكتاب الله وسنة رسوله (r) , وأعملهم بهما .
بحرا من بحار الشرع , سيفا من سيوف الله , وارقا أخلاق جده رسول الله (r)(" سواد العينين " ص (55)).
شهادة الإمام المحدث الفاضل السيد الرواس :
وعنه قال الرفاعي الثاني , السيد محمد مهدي الرواس , آل خزام الصيادي الرفاعي :
" أي مولاي أبا العلمين , أنت المربي الذي كسر بسطوة مهند الفتح , شوكة شنشنة الدعوي والشطح , وأقام في بحبوحة جلال الانكسار الموطد بأساليب المنح " (" أشرف الخطاب " ص (99)) .
شهادة السهار نفوري :
وعنه قال الأستاذ ذو الفقار أحمد السهار نفوري الهندي :
" كان فاضلا ظريفا . ما تصدر في مجلس , ولا جلس متباهيا علي سجادة تواضعا , وهو من أعيان مشايخ العراق , وأجلاء العارفين , وأكابر المحققين , وصدور المقربين .
صاحب المقالات العلية , والأحوال السنية , والكرامات الجلية .
عمر الله القلوب بمحبته , وملأ الصدور من هيبته , وعمر الأقطار بذكره , وعطر الآفاق بنشره , فاستطار ذكره في الأنام , استطار النار بالرياح .
علا في العالمين علو الشمس بالصباح .
تخرج بصحبته جماعة كثيرة من أعلام الطريق , وتتلمذ له خلق لا يحصون من أرباب الأحوال الصادقة , وانتمي إليه عالم عظيم في كل قطر , وتبعه جم غفير من كل جهة .
قد لزيارته من كل فج عميق " (" قرة الناظرين " ص (53) .
شهادة عالم ندوي :
أما الأستاذ سعيد الرحمن الأعظمي الندوي , رئيس تحرير " البعث الإسلامي" , لسان حال جمعية " ندوة العلماء " في الهند , فقال :
" كان الشيخ أبو العباس الرفاعي من كبار الأولياء والعارفين العظماء , ذا منزلة وجيهة عند الله والناس , كما يبدو من أحواله , وقد شهد بذلك أهل العلم والمعرفة " (" البعث الإسلامي " 16 , العدد السادس)
شهادة مرافقه ومريده وخادمه وخليفته :
إن أكبر شهادة / هي شهادة الشيخ العارف بالله يعقوب بن كراز , الذي خدم سيدنا الرفاعي ثلاثين سنة , يقول:
" فو الله ما رأت عيني ولا سمعت أذني بشيخ أكمل منه , ولا أكثر ذلا وانكسارا , ولا أقوي شكيمة في دين الله , ولا أزهد , ولا أسخي , ولا أزيد تواضعا , ولا أعظم تحملا / ما رأيته أكثر ذلا وانكسارا من اليوم الذي مدت له فيه يد النبي (r) (" السيد أحمد الرفاعي , حياته وآثاره " ص (49) , للسامرائي).
البحر المحيط :
وهذا بعض ما قيل في كمال سيدنا الرفاعي وفضله وعلو منزلته وقبوله عند الله تعالي , وحذفنا كثيرا من شهادات أهل العلم والمعرفة , وأهل البصيرة وأهل الولاية / خوفا من التطويل .
وليس أمامنا أن نقدم حياة سيدنا الرفاعي كاملة , ومن يستطيع ذلك !؟ إلا أردنا تقديم لمحة من حياته , ونبذة من سيرته الشريفة فحسب , وهذا بتوفيق الله تعالي .

العودة الى فهرس المحتويات

حياته ونبذة عن خلفائه من أهل بيته

البشارة الكبري :

لقد بشر النبي الأمي الكريم – عليه أفضل الصلوات – بولادته خال سيدنا الرفاعي , العارف الكبير الشيخ منصورا الرباني الأنصاري البطائحي (الشيخ منصور البطائحي : العارف الكبير , الباز الأشهب البطحائي , هو من أعيان المشايخ , وأكابر الصوفية , ومن العارفين الأجلاء , وكبار المحققين في الطريق .
كان مستجاب الدعوة , كانت أمه تدخل وهي حامل به علي شيخه العارف الجليل أبي محمد الشنبكي , فينهض لها قائما , وتكرر منه ذلك فسألوه عن سبب ذلك ؟ فقال :
أنا أقوم للجنين الذي في بطنها , فإنه أحد المقربين إلي الله عز وجل .
سكن الشيخ البطحائي نهر دقلي من أرض البطائح , واستوطنها إلي أن مات فيه.
قال الشعراني : وهو خال أحمد ابن الرفاعي , وبصحبته تخرج , نتمي إليه جماعة كثيرة من ذوي الأحوال وأرباب المقامات .
لما حضرته الوفاة , قالت له زوجته : أوصي بالخلافة لولدك . فقال : لا بل لابن أختي .
فكررت عليه القول , فقال لابنه ولابن أخته السيد أحمد : ائتياني بنجيل – هو النز وهو مايخرج من الأرض ومن الوادي , " قاموس " 56:4 , مادة : "نجل " – من أرض كذا , فأتاه ابنه بنجيل كثيرا , ولم يأته ابن أخته بشيء , فقال له : ياأحمد ! لم لم تأت بنجيل ؟ .
فقال : وجدته كله يسبح الله عز وجل , فلم أستطع أن أقلع منه شيئا . فسكتت زوجته .
قال صاحب الرموز : " توفي الشيخ منصور البطحائي سنة (54. هـ) , مات في نهر دقلي , وقبره ظاهر يزار " .
" الطبقات الكبرى" 116:1 , و " الدر المنظم " 399:1 , و " رموز الفقراء " ص (55) , و" البنيان المشيد " ص (1.) .
يقول السيد الشيخ منصور :
" رأيت النبي (r) قبل ولادة ابن أختي السيد أحمد الرفاعي بأربعين يوما في الرؤيا , فقال لي : يا منصور ! أبشرك أن الله يعطي أختك بعد أربعين يوما ولدا , يكون اسمه أحمد الرفاعي , مثل ما أنا رأس الأنبياء , كذلك هو رأس الأولياء .
وحين يكبر فخده إلي الشيخ علي القاري الواسطي , وأعطه له كي يربيه , لأن ذلك الرجل عزيز عند الله , ولا تغفل عنه ! .
فقلت : الأمر أمركم يارسول الله , عليك الصلاة والسلام " ("سواد العينين " ص (71-72) , و " رموز الفقراء " ص (41) , و " المجموعة الصغري للفوائد الكبري " ص (5) .
نسبه العالي :
قال الشاعر المحب شعرا :
ونسبة أحمد المولي الرفاعي لطه وصله عظمت مقاما
سري برهانها شرقا وغربا وسار معطرا يمنا وشاما
* * *
وقال الإمام السيد الفاضل المحدث الرواس , في ديوانه " نور الفتوح " (ص (88) , طبعة الشيخ الجليل العارف السيد عبدالحكيم عبدالباسط , رضي الله عنه). مانصه : "
حثحث الركب بصدق الطلب للرفاعي الرفيع الرتب
علم الله ومنشور العلم فخر آل المرتضي بحر الكرم
الحسيني الشريف النسب
أتري كل ولي أحمدا ! طال في الشوق الذي رمت المدي !
أحمد غوث البرايا أبدا عين أهل البيت زهر العرب
هاشمي عرقه مطلبي
وقال فيه الفيروز آبادي مفردا : "
أبا العلمين أنت الفرد لكن إذا حسب الرجال : فأنت حزب
" طي السجل " ص (262) , طبعة الشيخ الجليل السيد عبدالحكيم عبدالباسط , رحمة الله عليه) .
كان سيدنا الرفاعي من أهل بيت رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم
* * * * *
نسب سيدنا الرفاعي من جهة أبيه
فهو : سيدنا السيد أحمد الرفاعي , ابن السيد السلطان علي , بن السيد يحيي نقيب البصرة , ابن السيد ثابت , بن السيد علي حازم أبي الفوارس , بن السيد أحمد المرتضي , ابن السيد علي افشبيلي , ابن السيد رفاعة

الحسن المكي , دفين إشبيلية بالأندلس .
ابن السيد مهدي , بن السيد محمد أبي القاسم , بن السيد حسن , بن السيد الحسين القطيعي , ابن السيد أحمد الصالح , بن السيد موسي الثاني , ابن السيد إبراهيم المرتضي , ابن السيد موسي الكاظم , ابن السيد جعفر الصادق , ابن السيد محمد الباقر , ابن السيد علي زين العابدين , بن السيد الحسين , بن سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .
وأم الإمام الحسين السبط / سيدتنا العذراء البتول المرضية , السيدة فاطمة الزهراء النبوية , رضي الله عنها (انظر " الرشحات الحسنية علي النفحة المسكية " ص (1.3-126) , للسيد الشيخ شرف الدين حسن بن عبدالحيك عبدالباسط , سلمه الله . وكان سيدنا الرفاعي كريم النسب من جهة أمه :
فهو / سيدنا السيد أحمد الرفاعي , ابن الولية أم الفضل , فاطمة الأنصارية النجارية , ابنة الشيخ أبي سعيد يحيي , بن الشيخ موسي , بن الشيخ كامل , بن الشيخ يحيي الكبير , بن الشيخ محمد أبي بكر الواسطي , ابن الشيخ موسي , بن الشيخ محمد , بن الشيخ منصور , بن الشيخ خالد , بن الشيخ زيد , بن الشيخ مت : وهو الشيخ أيوب , بن الشيخ خالد أبي أيوب , بن الشيخ زيد الأنصاري النجاري الصحابي الجليل رضي الله عنه (المرجع السابق ص (1.6) .
وأم أمه / هو أنها فاطمه بنة السيدة رابعة , بنة السيد عبدالله الطاهر , ابن السيد أبي علي سالم النقيب , ابن السيد أبي يعلي النقيب , ابن السيد أبي البركات محمد النقيب , ابن السيد أبي الفتح محمد أمير الحاج , ابن الأمير الجليل السيد محمد الأشتر.
ابن السيد عبيدالله الثالث , ابن السيد علي , بن السيد عبيدالله الثاني , ابن السيد علي الصالح , ابن السيد عبيدالله الأعرج , ابن السيد الحسين الأصغر , ابن الإمام زين العابدين علي , بن الإمام الحسين , بن أمير المؤمنين سيدنا علي المرتضي رضي الله عنه .
وله صلة بسيدنا أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – من جده الإمام جعفر الصادق لأمه (قلت : إن أم الإمام جعفر , أم فروة ابنة القاسم , بن محمد , بن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه , ووالدة أم فروة المذكورة , أسماء ابنة عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .
ولهذا كان الإمام جعفر الصادق يقول : ولدني الصديق مرتين . كذا في " ترياق المحبين " ص (3-4) للواسطي , و " الرشحات الحسنية " ص (1.7)) , وصلة لعمه الحسن من الباقر لأمه (فإن أم الباقر فاطمة أم عبدالله , ابنة الحسن السبط رضي الله عنه . كذا في " الرشحات " ص (1.7) , نقلا عن " صحاح الأخبار " ص (65) , للسيد السراج المخزومي .)
والرفاعي نسبة إلي جده السابع رفاعة , واسمه الحسن , وكان قد هاجر من مكة لما كثر الجور علي الشرفاء , ونزل بادية إشبيلية بالمغرب سنة سبع عشر وثلاث مئة .
وظل نسله في المغرب إلي أن هاجر أحد أحفاده , وهو السيد يحيي – رحمه الله – إلي مكة المشرفة والمدينة المنورة , ومنها هاجر – رحمه الله – إلي البصرة , حيث أنجب السيد أبا الحسن عليا الرفاعي , والد إمامنا الرفاعي الكبير رضي الله عنه (انظر " صحاح الأخبار " ص (62)) .
ولادته :
ولد سيدنا الرفاعي في النصف الأول من شهر رجب المبارك , لسنة (512 هـ) , وكانت ولادته في قرية حسن , (قلت : قال الإمام العز الفاروثي في كتابه " إرشاد المسلمين " ص (29) عند ذكرها : " ... قرية حسن – كما سبق وقرر – جزء من أم عبيدة , وكذا في سجلات الديوان , فإنهم يذكرون أم عبيدة ويدخل تحت هذه الكلمة :
الفضيلة و وقرية حسن , والربوة , وحربون , والمنصورية , والوردية , وعدة قري أخر " . انتهي , وانظر " الرشحات الحسنية " ص (59)) بالقرب من أم عبيدة .
الرضاعة :
إن أخت سيدنا الرفاعي تقول عن رضاعة سيدنا الرفاعي في رمضان :
" إن السيد أحمد لم يشرب اللبن في نهار رمضان المبارك , فظننا أولا أن في المرضع شيئا يكرهه , وأبي أن يقبل غيرها منهن , وأما في الليل فقد قبل المرضع , وشرب لبنها " (" رموز الفقراء " ص (8)) .
عندما بلغ سيدنا افمام الرفاعي سبع سنين , انتقل والده الشيخ السيد علي إلي جوار ربه سنة (519 هـ) , وكانت وفاته في بغداد(إن أبا سيدنا الرفاعي , العارف بالله , السيد السلطان عليا , ولد بالبصرة سنة (459 هـ), قبل وفاة والده السيد يحيي النقيب بسنة , فكفله أخواله الأنصار.
درس العلم علي شيوخ عصره , وأخذ الطريقة عن ابن عمه السيد حسن , بن السيد محمد عسلة الرفاعي.
كان صاحب مكانة موفورة ومقام رفيع وعلم جم , حتي لقب : بسلطان العارفين . لمقامه الروحي الصوفي

وكراماته المتواترة .
وتزوج بأخت الشيخ منصور البطحائي فاطمة الأنصارية سنة (479 هـ), أعقب منها السيد أحمد ,والسيد عثمان , والسيد إسماعيل , والسيدة ست النسب .
وفي (519هـ) وقعت فتن كثيرة بالعراق , فسار إلي بغداد لينصح الخليفة المسترشد بالله العباسي , وذلك لمكانته السامية بين أهل عصره , فنزل ضيفا عند الأمير مالك بن المسيب العقيلي بداره برأس القرية , محلة ببغداد – تقع الآن بشارع الرشيد المعروف ببغداد - , وكانت دار ابن المسيب من ملحقات دار الخلافة العباسية .
وقد نصح الخليفة نصيحة مشهورة , فلما لم يستجب لنصحه , تألم السيد علي من عدم الاستجابة , لحرصه علي صلاح أمور المسلمين , ومرض عدة أيام , ثم توفي بمرضه ببغداد في دار مالك بن المسيب سنة (519 هـ) .
ولمكانته عند ابن المسيب , دفنه بداره , وبني عليه مرقدا ومسجدا , فبقيت تربته الشريفة تسمي تربة السيد السلطان علي إلي يومنا هذا .
وكانت له كرامات مشهورة , فإنه كان يلقب – كما ذكرنا – بسلطان العارفين , فحذقت صفه العارفين , وبقيت لفظة السلطان , فصار يسمي : " السلطان علي " . " المجالس الرفاعية " ص (194) .
كفالته الحسنة :
بعد وفاة والده نقله خاله الشيخ منصور البطائحي وإخوته السيد إسماعيل , والسيد عثمان , وأخته ست النسب , وأمه الولية فاطمة إلي قريته علي نهر دقلي , وأخذ يرعي شؤونهم , ويربيهم التربية الصالحة , وينمي فيهم الأخلاق الإسلامية السامية .
وقام بإرشادهم علي طريقة آبائهم وأجدادهم , واختص منهم سيدنا الرفاعى , الذي لاح في جبينه نور الإيمان وسيماء الصلاح (" رموز الفقراء " ص (53) , و " المجالس الرفاعية " ص (3.) .
نشأته الدينية :
تربي سيدنا الرفاعي في جو صالح , وبيئة دينية , وفي أحضان الصلحاء وأصحاب النفوس الزكية من العلماء والمشايخ , فنشأ علي حب الله ورسوله , وشديد التعظيم لسنة رسول الله (r) .
وكان كبير الإجلال لأحكام الكتاب, عظيم العناية بالعمل بالعزيمة, وكثير الاشتغال بالذكر والتلاوة .
أشرف خاله علي تربيته , وتناوله بالتعليم والتأديب , حتي نشأ عالما كبيرا (هذه الكلمات قالها الأستاذ سعيد الرحمن الأعظمي الندوي , في سيدنا الرفاعي) .
رياسته في العلوم :
حفظ سيدنا الرفاعي القرآن الكريم علي يد الشيخ عبدالسميع الحربوني , وكان عمره الشريف سبع سنين , وأرسله خاله بعد أن بلغ أشده إلي مدينه واسط , ينهل العلم , ويسقي الفضائل علي جهابذة العلماء وأساطين العلم الديني آنذاك .
وكانت واسط من أمات المدن العلمية في العراق , ومقصد العلماء وطلبة العلم من جميع أرجاء العالم الإسلامي .
ثم أدخله خاله علي الشيخ علي القاري الواسطي , وهذا بأمر من رسول الله (r) برؤية صالحة , كما مر بنا سابقا (ص (2.6) ليواصل تعليمه وتربيته علي يديه.قرأ كتاب التنبيه للشيخ أبي إسحاق الشيرازي (" الطبقات الكبري" 125:1 , للشعراني) , بل إنه حفظ هذا الكتاب (قلت : وله شرح علي " التنبيه " في المذهب الشافعي , وهو كتاب جليل , يحوي ست مجلدات , وهو من أندر الكتب , كما صرح بذلك الإمام السراج في كتابه " صحاح الأخبار " ص (91) , ودرس العلوم جميعها , منقولها ومعقولها علي يد الشيخ علي القاري , وعلي يد خاله أبي بكر الأنصاري الواسطي , وغيرهما من المدرسين الكبار .
فاعتني به هؤلاء الأساتذة الكرام , واهتموا به كل الاهتمام , فأصبح سيدنا الرفاعي بعد هذه الدراسة عالما كبيرا , وفاضلا عظيما , وعلما شامخا , ومحدثا , وفقيها , ومفسرا ذا روايات عاليات , وإجازات رفيعات , وأصبح قارئا , وحافظا جيدا .
أعلم أهل عصره بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام , وأعلمهم بهما , وأحرصهم علي تطبيقهما , بحرا من بحار الشرع , وسيفا من سيوف الله , وارثا أخلاق جده رسول الله , وحبيبه صلي الله عليه وآله وسلم .
قال سبطه الإمام الشيخ السيد أحمد عز الدين الصياد الرفاعي :
" وانتهت إليه الرياسة في علوم القوم وفنونهم ومحاضراتهم ووقائعهم وحقائقهم , وتفرد بالحكمة الجامعة , وكان علم الطائفة , وإمامها , ومقدامها , وصدرها .

وكلمات لوامع البدور الزواهر , وعصائم العقود من أنفس الجواهر "(فصول الحكماء " ص (94) , للسيد أبي الهدي الصيادي الرفاعي رضي الله عنه) .
مواهبه وكفايته :
ولد سيدنا الرفاعي وعلامات الولاية والعرفان بادية عليه , وحسبه ما حدث له في بدايته عند شيخه العارف الشيخ علي القاري .
فقد كان يقرأ القرآن علي شيخه المذكور , إذا برجل صنع طعاما فدعا إليه الشيخ عليا الواسطي وأصحابه وجماعة آخرين من مشايخ القراء , وغيرهم .
فلما أكلو من الطعام , كان معهم قوال (القوال : هو المداح أو المنشد في مجالس السماع) , فشرع بالإنشاد وبيده دف , وسيدي أحمد جالس عند نعال القوم , ونعل الشيخ ابن القاري معه .
فلما طاب القوم واستراحوا وتواجدوا , وثب سيد أحمد إلي القوال وكسر الدف الذي كان معه , فالتفت المشايخ إلي الشيخ علي بن القاري , وشاجروه فيما صدر من سيدي أحمد وقالوا له :
هذا صبي ما لنا معه مطالبة , إنما المطالبة عليك .
فقال لهم الشيخ علي القاري : اسألوه ! فأن أتي بالجواب , وإلا علي المطالبة .
فالتفتوا إليه وقالوا له : لماذا خرقت الدف ؟ فقال لهم : أي سادة ! لنحتكم إلي أمانة القوال ليخبرنا بما خطر بباله , فأي شيء قال ضيفنا ؟ .
فسألوا القوال عما خطر بباله أثناء المدح والإنشاد ؟ فقال : إني كنت البارحة عند أقوام يشربون , فسكروا وتمايلوا كتمايل هؤلاء المشايخ , فخطر لي أن هؤلاء كأولئك , فلم يتم خاطري حتي قام هذا الصبي وكسر الدف .
فعند ذلك نهض المشايخ إلي سيدي أحمد وقبلوا يده واعتذروا إليه (" روض الرياحين " لليافعي , الحكاية السادسة والستون بعد الأربع مئة).
وأما ما قاله سيدنا الرفاعي عن طفولته وعن صغر سنه , فإنه ينبؤنا عن استعداده الفطري للمعرفة , وصلاحيته للموهبة العالية , قال :
" لما مررت وأنا صغير علي الشيخ العارف بالله عبدالملك الخرنوتي أوصاني , وقال لي : يا أحمد ! احفظ ما أقول لك .
فقلت : نعم . فقال :
ملتفت لا يصل , ومتسلل لا يفلح , ومن لم يعرف من نفسه النقصان , فكل أوقاته نقصان .
فخرجت من عنده وجعلت أكررها سنة , ثم رجعت إليه فقلت له : أوصني ! فقال :
ما أقبح الجهل بالألباء ! والعلة بالأطباء ! والجفاء بالأحباء !.
ثم خرجت وجعلت أرددها سنة , وانتفعت بموعظته " (" لواقح الأنوار " ص (17.) , و " الدر المنظم " ص (3.1) .
جمع سيدنا الرفاعي إلي كفايته العلمية ودراسته الواسعة تربية الروح , وتهذيب النفس , والإخلاص لله , ودوام الذكر , وحضور القلب .
تخرج في ذلك بخاله الشيخ الزاهد الباز الأشهب منصور البطائحي , والشيخ علي القاري الواسطي .
خرقته في الطريقة والسلوك علي يد خاله :
لبس سيدنا الرفاعي الخرقة من خاله الشيخ منصور , وهو عن والده الشيخ يحيي الأنصاري , وهو عن أبيه الشيخ موسي أبي سعيد الأنصاري , وهو عن أبيه الشيخ كامل , عن أبيه الشيخ يحيي الكبير , عن أبيه الشيخ أبي بكر بن موسي الواسطي .
وهو عن شيخه الجنيد البغدادي , عن الشيخ السري السقطي , عن الشيخ معروف الكرخي , عن الشيخ داود الطائي , عن الشيخ حبيب العجمي , عن الشيخ الإمام الحسن البصري , عن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب , عن سيد الكونين سيدنا محمد رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم تسليما (" المجالس الرفاعية " ص (33) , و " طي السجل " ص (373) .
خرقته عن أستاذه :
كما لبس سيدنا الرفاعي الخرقة عن أستاذه الشيخ علي القاري الواسطي , وهو عن أبي الفضل بن كامخ الواسطي , عن الشيخ غلام بن تركان , عن الشيخ أبي علي الروذباري , عن الشيخ علي العجمي , عن الشيخ أبي بكر الشبلي , عن الشيخ أبي القاسم الجنيد البغدادي ..
عن الشيخ السري السقطي , عن الشيخ معروف الكرخي , عن الشيخ داود الطائي , عن الشيخ حبيب العجمي , عن الشيخ أبي سعيد الحسن البصري , عن أمير المؤمنين سيدنا علي , عن سيد الأولين والآخرين

محمد رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم (" رموز الفقراء " ص (47) , و " طي السجل " ص (334) , و " سلاسل القوم " ص (33) .
طريقته في السلوك :
وهب الله تعالي سيدنا الرفاعي عناية خاصة عظيمة من دوام الذكر وحضور القلب , وزاد في الزهد والخشوع , وأكثر من التواضع والانكسار , حتي بلغ في سلوكه إلي كماله ومنتهاه , فتعدي المقامات , وفاز فوزا عظيما .
يقول العلامة الشعراني عن حاله (في " الطبقات الكبري " 124:1)
" قال له شخص من تلامذته : يا سيدي أنت القطب ؟ فقال : نزه شيخك عن القطبية . فقال له : وأنت الغوث ! فقال : نزه شيخك عن الغوثية .
قلت : وهذا دليل علي أنه تعدي المقامات والأطوار (في مراتب القرب والصديقية) , لأن القطبية والغوثية مقام معلوم , ومن كان مع الله وبالله , فلا يعلم له مقام , وإن كان له في كل مقام مقام , والله أعلم " . انتهي .
وقد يكون المقصود به تواضع الإمام الرفاعي , عن الألقاب الكبيرة المميزة لتواضعه وزهده .
وقال الشيخ العارف بالله علي القاري الواسطي عن تلميذه :
" السيد أحمد سلك إلي الله طريقا أتعب به السالكين , وأخرس ألسنة المتكلمين , وأتعب في ديوان التفتيش المحمدي أهل الدعوي .
أذل نفسه فعز , وأخرها فتقدم , وطمس أنانيته من استشراف النفس والسمع والبصر , فصار أنورا يستضاء به , وجبلا أبلق يلتجأ إليه .
وإنه لوجيه الوجه عند الله ورسوله , نحن أشياخه بالاسم , وهو شيخنا في الوقت بالحكم " .
وقال عنه أستاذه في مناسبة أخري :
" لولا سر الامتثال , لأخذت عنه , ولا ريب ! أنا شيخه في الصورة , وهو شيخي في المعني " (" المجالس الرفاعية " ص (33) , و " طي السجل " ص (322) .
وكان الشيخ محمد بن عبد البصري يقول عن سير سيدنا الرفاعي في السلوك وكماله فيه :
" كل الأولياء أدركنا مقاماتهم وما وصلوا إليه , وعرفنا منتهاهم في السير , إلا السيد أحمد الرفاعي , فإنه لا يعرف منتهاه في السير , وإنما رجال عصرنا علي الإطلاق , يعرفون الوجهة التي اتجه إليها . ومن ادعي الوصول إلي مرتبته , أو الاطلاع علي رتبته / فكذبوه " (" سواد العينين " ص (58) .

العودة الى فهرس المحتويات

صفاته الخلقية المباركة وعاداته :

كانت صورة سيدنا الرفاعي كسيرته , كان ربعة من القوم أسمر , أزهر اللون , متوسط القد , نير الوجه , شعره أسود , وفي صدره شعر أسود , خفيف العارضين , وسيع الجبهة , أكحل العينين , حسن المبسم , إذا تكلم سلب القلوب والعقول , وإذا سكت أهابها , وكان كثير التبسم قليل الضحك .
كان يلبس قميصا أبيض , وخفا من الصوف أبيض , يتعمم بعمامة سوداء , ويتعمم بالعمامة البيضاء في بعض الأحيان .
كان طعامه خبز الأرز , وما يفضل من الفتات والكسر من فضلات الواردين والضيوف .
وما أكل الخبز الساخن في عمره قط , ومازاد علي الرغيف الواحد مدة حياته.
وكان إذا أفطر من الصوم لا يفطر إلا علي فتات المائدة الفاضل منها , والذي كان يجمع ويوضع بمكان منحاز عن الخلق , خشية عليه من الأرض وأقدام السائرين .
وإذا أراد أن يأكله يبله بالماء , ويفطر عليه , ويتعشي منه .
وكان رواقه يجمع كل يوم وليلة أكثر من عشرين ألفا , يمد لهم السماط صباحا ومساء.
وكانت ليلة المولد المبارك يجمع أكثر من مئة ألف إنسان , ويقوم بكفاية الجميع , وأهل بيته كأحد الفقراء .
وكان لا يملك شيئا , ولا يحتفظ بشيء من عرض الدنيا , وإذا صار له شيء منها أنفقه في الحال .
كانت ضياعه وبساتينه وأحباسه تزيد علي أملاك الملوك , ولكنها تصرف يوميا علي فقراء الرواق , وهو منها بمعزل ولا يمس من حاصلها درهما ولا دينارا , بل كان وكلاء الرواق من أصحابه ينفقون منها في الله والله .
خلقه العظيم :
كان سيدنا الرفاعي مسكينا في طوره , ذا هيبة عظيمة , لا يتمكن جليسه من إباحة النظر إليه .

هذا مع رفقه وظرافة طبعه وخلقه ورقه شيمته , وذلك لما اشتمل عليه من العلم والعقل والعبادة والهيبة والوقار والكمال والفضائل والمجد وعلو النسب.
كان مؤيدا , محكما في القلوب , قاهرا لنفسه , حاكما عليها , عظيم الجناب , هين الجانب , سليم الصدر , لين العريكة , مهملا للدنيا (قلت : قلبا , بأن لا يكون فيه من المستعارات والأغيار شيء) , مقبلا علي الله تعالي .
كان طويل الفكرة , كثير التبسم , قليل الضحك , رقيق القلب , شديد العاطفة , كثير البكاء , متواصل الأحزان .
لاتريعه مرادات الأكوان , ولا يستشعر بشيء من بهارجها , متمكنا في مقامه , لا تحركه الزعازع , ولا تقف له الواردات .
صعبا علي أهل البدعة , هينا علي أهل الحق , كالسحاب أينما وقع نفع .
لم يخالف قوله فعله , وكل مقاله وحركاته وسكناته وأنفاسه لله تعالي .
لايهاب ملوك الدنيا , ولا يترفع عن الضعفاء والفقراء , ويجلس مع المساكين , ولا يعرف من بينهم , ويخدمهم بنفسه , ويطوف في الرواق علي حلق الفقراء وقت الطعام , يحرض الإخوان علي خدمة الإخوان ويقول :
" إخوانكم لأجل الله تعالي , وإياكم والأعمال التي تصرف لغير الله تعالي " .
وكان لا يقوم لأحد من كبار الدنيا , ولا يعبس في وجه أحد من المساكين والفقراء من مريديه وغيرهم .
ولم يكن فظا , ولا غليظا , ولابطالا , ولا قوالا , بل كان قؤولا فعولا , ينصر أوامر الله , وينتصر لكلمة الله , وشريعة جده رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم .
كان مرضي الشأن في الحركات والسكنات , أحواله مرعية , وأقواله شرعية , ومقاماته علية , وأطواره سنية , وكراماته جليلة (" المجالس الرفاعية " ص (24-25) , و" المجموعة الصغري " ص (9) .

العودة الى فهرس المحتويات

حجه المبرور :

تهيأ سيدنا الرفاعي للحج , وذلك في عام (555 هـ) , وكان هذا حجه الأول , وحينما انتهي من أداء فريضة الحج , توجه مشتاقا ولها لزيارة جده الرسول الأعظم (r) .
ولما اقترب من المدينة , خلع نعله , ومشي حافيا , وجاء إلي الروضة المطهرة , ووقف أمام قبر جده الرسول – صلوات الله عليه – من جهة القبلة ' وقال :
السلام عليك ياجدي . فقال له – عليه أفضل صلوات الله - : وعليك السلام ياولدي . فتواجد , وأخذه الحال , فأنشد وقال : "
في حاله البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت فأمدد يمينك كي تحظي بها شفتي"
* * * *
كرامة تقبيل الإمام الرفاعي يد جده المصطفي (r) :
فلما أنشد هذين البيتين المحمودين , وشيد هذين الركنين الرفيعين تجاه الحجرة الطاهرة المحمدية , مد له جده النبي الأكرم , صلي الله تعالي عليه وآله وسلم , يده الشريفة البيضاء السوية , طويلة الأصابع , كأنها البرق المضيء (" الشرف المحتم " ص (2.) للسيوطي , و " النجم الساعي " ص (96) للعيدروس , و " الكنز المطلسم " ص (11) للسيد أبي الهدي) . من قبره , وهي كالصيقل (أي : كالسيف) اليماني .
فقبلها سيدنا الرفاعي في مشهد عظيم من حجاج ذلك العام .
وكان فيمن حضر ذلك المشهد العظيم : الشيخ الولي السيد عبدالقادر الجيلي , وغيره من الشيوخ العظام , والسادات الكرام .
مثل الشيخ عدي بن مسافر , والشيخ حياة بن قيس , والشيخ علي بن خميس , والشيخ علي الطبري , والشيخ أحمد بن عبدالمحمود الربعي , والأمير أسد الدين بن شيركوه , ابن شادي , والشريف الشيخ حسن بن محمد الحسني , وغيرهم كثير (قال الإمام المحدث الجليل الشيخ عز الدين أحمد الفاروثي في " الفنحة المسكية " : " وقد أدركت – بحمدالله – خمسة رجال من حجاج ذلك العام , ومن الذين تشرفوا بذلك المشهد الكريم , نفعنا الله بهم " .
ثم ذكرهم في كتابه النافع " إرشاد المسلمين " ص (35-36) .

فقال : " ومن نعم الله علي , أن والدي – رحمه الله – توجه من الفاروث سنة اثنين وعشرين وست مئة إلي أم عبيدة , وعمري يومئذ ثمان سنين , فحملني معه للزيارة والتشرف بالموسم الأحمدي .
فدخل أم عبيدة في خلافة شيخنا ومولانا السيد شمس الدين محمد الرفاعي , سبط النفس النفيسة الرفاعية , فأفرد لوالدي غرفة في الرواق , وقد ضرب الوفود والمحبون الأخصاص والخيام حول أم عبيدة , وقد امتلأت الصحاري والبلاد والنواحي من الزوار .
ففي يوم الجمعة , فتحوا قبة المشهد الشريف الأحمدي , وجاء الناس ألوفا ألوفا للزيارة , فأخذ أبي بيدي ووقفنا , وإذا بشيخ كبير السن جليل القدر , فحملني والدي إليه , وقبل والدي يده , وأمرني فقبلت يده , وسأله لي وله الدعاء , فدعا لنا , ومشي .
فقال لي والدي : هذا الشيخ أحمد بن عبدالمحمود الربعي , هو من الذين كانوا عام مدت يد النبي (r) للسيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه , ورآها فيمن تشرف برؤيتها .
وبعد قليل , جاء شيخ آخر , ففعل والدي كما فعل أولا , وقبل يده , وأمرني بتقبيل يده , وبعد انصرافه للزيارة قال لي : وهذا من حجاج عام مد اليد , وهو الشيخ مبارك بن جعفر الأونيوي .
وبعد قليل , جاء شيخ آخر , ففعل والدي كالأول , وبعد ذهابه قال لي : وهذا من حجاج عام مد اليد , وهو الشيخ عبدالرحمن بن علي الدعيبيني.
ثم جاء آخر , ففعل والدي كالأول , وبعد ذهابه قال لي : وهذا من أولئك , وهو الحاج رمضان بن عبدالبر بن عبدويه .
ثم جاء رجل آخر , فقبل يده , وعل كما فعل بالأول , وبعد ذهابه للزيارة قال لي : وهذا منهم , وهو الشيخ الجليل عبدالمحسن الأنصاري الواسطي , رضي الله عنهم .
ورأيت الناس يزدحمون علي كل واحد منهم , يقبلون يده وقدميه , ويعلو النحيت والبكاء من الجميع , وذلك لتذكار عهد اليد الشريفة ومن مدت له رضي الله عنه .
أمر بقيعان الحمي بعد أهلها أعفر شيبي باكيا بثراهم
وأطرق أطراف الطريق مولها لعلي أراهم أو أري من رآهم
* * * *
سلام الله وضوانه علي هذا السيد الأصيل , الذي نصبه الله نائبا عن جده صاحب جبريل , عليه صوات الملك الجليل .
وقد خضع بعد هذه لعناية المحمدية للحضرة الرفاعية : رقاب القوم , وصار بابه مستمد أكابرهم من عهده الشريف إلي اليوم , ولا برحت هذه النعمة هاطلة , والعناية متواصلة .
وقد عول عليه رجال عصره , واندرجوا في مقام التربية تحت سطوة نهيه وأمره .
فهم أتباعه في العقد والحل , وهو شيخهم , بل وشيخ الكل في الكل .
كتبت يد الإحساس رقعة عهده بمداد برهان جلي لم يزل
أبدية تلك السعادة كونها قامت بإحسان القديم من الأزل
* * * *
انتهي كلام الإمام الفاروثي رحمة الله عليه .
قلت : قال الإمام السيد عز الدين أحمد الصياد – رضي الله عنه – في كتابه " المعارف المحمدية " ص (62-64) ما نصه :
" وحدثني بما يناسب هذا المقام سيدي وأخي السيد قطب الدين أبو الحسن قدس الله روحه , ونور صريحه : أن السيد الجليل , إمام الزمان , صاحب هذه الطريقة , شيخ الخليقة , سيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه ,/
لما عاد من حجه المبارك , سنة خمس وخمسين وخمس مئة , السنة التي مدت له فيها يد النبي (r) من قبره الجليل المبارك الأنور , زاره الأولياء والأئمة والشيوخ والعلماء بأم عبيدة , وامتدحه صدور القوم , وهنوه بهذه النعمة العظيمة , التي أتحفه الله بها .
ومن أحسن المدائح المباركة التي أنشدت بمحضره الكري : قصيدة الشيخ العارف بالله الشيخ تقي الدين الفقير النروندي , الفقيه المتوفي سنة أربع وتسعين وخمس مئة , وهو أحد أصحابه الذي شملتهم عين عنايته بالقبول , رضي الله عنه وعنهم أجمعين , والقصيدة :
أي سر جاءت به الأنبياء وحديث رواته الأولياء
سلسته السادات أهل المعالي وحكته الأئمة الأتقياء
فروي نشره الصديرين ريا وأضاءت بنوره البطحاء

مد طه يمينه للرفاعي فانجلت عندها له الأشياء
يا لها من يمين قدس نزيه يشتهي شم عطرها الأنبياء
قد تجلي الله المهيمن لما ظهرت وازدهت لذاك السماء
وأحاطت بالقبر أجنحة الأملاك والشهب مسها الحصباء
شرف باذخ وشأن عظيم أعظمته الغبراء والخضراء
ومقام مؤيد الشأن عال غبطته الأكفاء والبعداء
فالندي حول بابه مترام والوفا الجم والسنا والسناء
صانك الله لو رأيت المعاني يوم سرت بشبلها الزهراء
يوم دقت جلاجل السعد والمجد وطابت لصوتها الآلاء
يوم قامت للمصطفي بينات قصرت عن إيرادها الأحياء
يوم أبدي من الحياة رموزا خرست عند ذكرها الأعداء
يوم ألوان جاحدي الحق غيظا سربلتها بطورها الحرباء
يوم تتلي في حالة البعد قربا من ضريح في ذيله الجوزاء
حضرة ذات حشمة ووقار ضمنها الأرض والسماء سواء
نال فيها الغوث الرفاعي مجدا أسسته له بها الآباء
رب وقت يدنو الحفيد من الجد به ثم تنتمي الأبناء
لا تقل كيف تم هذا وأيقن يفعل الله ربنا ما يشاء
واهجر المارقين واعذر إذا ماأنكر الشمس مقلة عمياء
أيكون النبي ميتا وفي القرآن أحياء ربها الشهداء
وبمد اليمين لابن الرفاعي حجة في مقامها سمحاء
شهدتها المساء آلاف قوم ورآها الأقران والأكفاء
صار ذاك المساء صباحا فما أعجب يوما فيه الصباح مساء
فرح الدين والهدي وطريق الحق بل والشريعة الغراء
وتعالي شأن النبي المفدي وتلاشت بطمعها الأهواء
رضي الله عنك يا أحمد القوم الذي طاب باسمه الفقراء
إنما الأولياء في كل أرض لهم من فيوضك استجداء
أنت غوث البلاد شرقا وغربا بك تسقي بقاعها الأنواء
أنت شمس العرفان لولاك في السلاك أنحاء نهجهم ظلماء
أنت باب الرجا لك مريد وملاذ تحمي به الضعفاء
قد خلفت الرضا وجعفر والكرار فالبئر واحد , والماء
آل بيت النبي لازال منكم في البرايا عن جدكم أوصياء
أنتم الصالحون وراث أرض الله والعارفون والنجباء
أنتم جدة الإله علي الناس أجل , والمحجة البيضاء
نوركم كان والعوالم في الطمس دخان والحادثات هباء
صلوات الله العظيم عليكم ما توالي السراء والضراء
ويعم الرضا عبيدا ضعافا بكم استمسكوا وتم الرجاء

* * *

شهادة الأعلام علي تقبيل اليد النبوية الشريفة :

وقد ذكر هذه الكرامة كثير من المؤرخين الثقات وفقهاء الإسلام , وقد ألفوا فيها الكتب المعتبرة , كالإمام السيوطي (له " الشرف المحتم فيما من الله بن علي وليه السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه , من تقبيل يد النبي صلي الله تعالي عليه وسلم .

قام بطبعه الشيخ الجليل السيد عبدالحكيم بن سليم عبدالباسط , رض الله عنه .

") , والإمام عبدالكريم الرافعي (في كتابه " سواد العينين في مناقب الغوث أبي العلمين ", المتوفي سنة 623 هـ) , والشيخ إبراهيم الكازروني البكري , والعلامة محمود الألوسي (في كتابه " الأسرار الإلهية شرح القصيدة الرفاعية ") , والعلامة السيد أبي الهدي الصيادي (في كتابه الماتع النافع " الكنز المطلسم في مد يد النبي (r) لولده الغوث الرفاعي الأعظم ") , وغيرهم من مشاهير العلماء الكبار .

إن تقبيل يد الرسول الأكرم(r) , من أكبر كرامات سيدنا الرفاعي , وقد أجاد القائل بقوله :

كفي الرفاعي شرفا تقبيل كف المصطفي
فلا تحد عن بابه وخذه شيخا وكفي
* * *
وقال الشيخ عبدالقادر الطبري (في كتابه " كشف النقاب عن أنساب الأربعة الأقطاب " ص (7) :
هذه رتبه رقاها الرفاعي لم ينلها من الرجال سواه
هو في الأولياء قطب رحاهم قدس الله سره وحباه
* * *
وقال شيخ الإسلام محمد سراج الدين الرفاعي المخزومي رصي الله عنه (في كتابه " صحاح الأخبار في نسب الأربعة الأقطاب " ص (9.) :
لقد مدح الغوث الرفاعي أمة وماذا عسي من بعد أن قبل اليدا !؟
ومن شرف الإرث الصريح لذاته متي ذكروه , يذكرون محمدا (r)
* * *
علاجه لعدم الغرور والعجب في نفسه بعد هذه الكرامة العظيمة:
قال الإمام الشيخ عبدالسميع الهاشمي الواسطي (راوي كتابه " البرهان المؤيد "). عن هذه الكرامة الكبري :
" وكنت مع الزوار في الحرم النبوي عام حجه الذي مدت له فيه يد النبي (r) , وشاهدت اليد النبوية ببركته رضي الله عنه .
وكان فيمن حضر : علي الهيتي , الذي هو الآن بين آظهرنا , والشيخ عدي بن مسافر , والشيخ عبدالقادر الجيلي , والشيخ عزاز , وغير رجل .
فلما تجلي الله عليه بهذه الموهبة العظيمة , والمنة الكريمة , وآن وقت انصراف جسمه من الحضور النبوي , اضطجع بباب الحرم , وأقسم علي الناس أن يدوس كلهم عنقه .
فكانت العامة تتخطي عنقه المبارك , والخاصة انصرفوا من أبواب أخر.
وكنت لديه وهو يبكي ويقول : " اللهم زدني تمكينا وإيمانا ومعرفة بك وبنبيك صلي الله عليه وآله وسلم " (" سواد العينين " ص (6.) .
قلت : قد ذكر قصة مد اليد/ أمة من العلماء الأكابر , وأفردوا لها التصانيف الكثيرة , وقد تواتر خبر هذه المنقبة الأحمدية والخارقة المحمدية , واستفاض وبلغ مبلغ التواتر المعنوي , والحمحمة فيه من شوائب النفاق والعياذ بالله ! ويخشي علي منكر هذه المنقبة سوء الخاتمة , كما صرح بذلك الإمام السيوطي في كتابه " الشرف المحتم " وكتابه " التنوير " .
والإمام تقي الدين الواسطي في كتابه " ترياق المحبين " , المتوفي سنة (744 هـ) , والصفوري في " نزهة المجالس " , والفاروثي في النفحة المسكية " , " إرشاد المسلمين " , المتوفي سنة (694 هـ) , وغيرهم , لما في ذلك من الحسد للسلطان المحمدى , الذي لا تنقطع خوارق بركاته , ولا تنفضم بوارق إشاراته , أيدنا الله والمسلمين بعنايته ومحبته , وحشرنا مع محبيه في زمرته ! .
وقد ذكر كل من هؤلاء الرجال خبر القصة المذكورة في كتبهم التي ذكرناها , وأطال بذكرها الإمام عبدالكريم الرافعي القزويني في مختصره " سواد العينين" , المتوفي سنة (623 هـ) , وذكرها الإمام الكبير أحمد الصياد في " المعارف المحمدية " , المتوفي سنة (67. هـ) , والشيخ الهمام الحافظ محمد بن القاسم الواسطي في كتابه " البهجة الكبري " .
والشيخ العارف بالله علي أبو الحسن بن الشيخ مقدام , وجمال الدين الخطيب الحدادي , خطيب " أونيه " الواسطي الشافعي في كتابه " ربيع العاشقين " , والإمام الحافظ قاسم بن أبي بكر بن الحاج الواسطي الشافعي في كتابه " أم البراهين " , المتوفي سنة (678 هـ) , والإمام الكبير المناوي في كتابه " طبقات الكواكب الدرية " , والشيخ العارف بالله العطار في " التذكرة " .
والشيخ الكبير أبو بكر العيدروسي الحسيني في كتابه " النجم الساعي " , والعلامة الخفاجي في " شرح الشفا " , والإمام الشعراني في " مناقب الصالحين " , والشيخ الكبير العارف بالله الشيخ علي أبو الحسن الواسطي في " خلاصة الإكسير " , المتوفي سنة (733 هـ) , والعلامة ابن حماد الموصلي في تاريخه " روضة الأعيان " ..
والعلامة العابد الصالح العارف الشيخ عبدالمنعم العاني , نزيل دمشق الشام في " قاموس العاشقين " , ألله سنة (1183 هـ) , وشيخ الجماعة الإمام الكبير العارف بالله السيد سراج الدين الرفاعي المخزمي في " صحاح الأخبار " , المتوفي سنة (885 هـ) , والعلامة الشيخ محمد بن جسوس المغربي في " لوامع أنوار

الكواكب الدرية " ...
والشيخ الأجل الشريف الكبير شرف الدين بن عبدالسميع الهاشمي العباسي في مقدمة " البرهان المؤيد " , والإمام العلامة السيد أبو الهدي الصيادي في عامة كتبه , وقد أفرد لها تصنيفا جليلا وسماه " الكنز المطلسم " , ففيه بغيه الطالب والمسترشد , وقد أفاد وأجاد , وخلائق لا يحصون .
وهي أشهر من أن تذكر , وقد بلغت مبلغ القطع البت , وهي لهذا السيد الجليل ,والعلم الطويل , درة القلادة , وطوق السعادة والسيادة , والمنقبة التي لا تقابل بمثيل , ولا تشاكل بعديل .

العودة الى فهرس المحتويات

زواجه الشريف :

تزوج سيدنا الرفاعي أولا بالصالحة الولية خديجة الأنصارية ' أبنة الشيخ أبي بكر الواسطي الأنصاري النجاري , فأولدها السيدة فاطمة المشهورة بأم النور , والسيدة زينب المشهورة بأم الرجال .
ولما توفيت الولية خديجة سنة (553 هـ) , تزوج بعدها بأختها الشيخة رابعة , وتوفيت هذه الولية سنة (613 هـ) , وأعقب منها :
السيد صالحا قطب الدين , وتوفي في حياة والده ولم يعقب .
وأما بقية أولاده , فهم السيد أبوالقاسم , والسيد إبراهيم , والسيد عبدالمحسن (قلت : ذكرهم أبوهم الجليل السيد أحمد الرفاعي في كتابه " البرهان " ص (1.3) , وي السيد عبدالمحسن , فقال : " ...أعمر الرواق حتي يسكنه صالح , وإبراهيم , وأبوالقاسم , والنساء ". انتهي .
وذكرهم السيد الإمام عز الدين أحمد الصياد في كتابه المانع " المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية " ص (58)فقال :
"ورزق القاسم , وإبراهيم , وعبدالمحسن , وصالح قطب الدين , وماتوا كلهم أطفالا ,سوي السيدصالح قطب الدين , بلغ إلي دون السبع عشرة سنة , وتوفي في حياة أبيه " .
انظر " الرشحات الحسنية " ص (19.) , للسيد شرف الدين حسن بن عبدالحكيم عبدالباسط .) . توفوا وهم صغار في حياة والدهم الإمام الرفاعي , ولم يعقبو.
وأما ابنته السيدة زينب , فقد تزوجها ابن عمه السيد عبدالرحيم بن سيف الدين عثمان الرفاعي .
وأختها السيدة فاطمة , فقد تزوجها ابن ابن عمه الثاني السيد علي بن السيد سيف الدين عثمان الرفاعي .
وقد أنجبت السيدة زينب المسماة أم الرجال السادة :
السيد شمس الدين محمدا , والسيد قطب الدين أحمد , والسيد أبا الحسن عبدالمحسن (قلت : ويقال له :" علي " كما في " النفحة المسكية " ص (21.) , و " إرشاد المسلمين " ص (1.8) للفاروثي , و " تنوير الأبصار " ص (39) , نقلا عن جلاء الصدي " للآري الحنفي , في الفصل الثاني من الباب الرابع عشر .
وانظر تفصيل ذلك مبيننا في " الرشحات الحسنية " ص (21. و 217) .
, والسيد أبا القاسم أحمد , والسيد أبا الحسن محمد (قلت : وذكره السيد الصياد باسم " أبي الحسن علي " , كما في كتابه " المعارف " ص (132) , وهو في " النفحة المسكية " كما ذكره هنا المؤلف . انظر " الرشحات الحسنية " ص (265) , والسيد عز الدين أحمد الصياد .
وابنتين هما : السيدة عائشة , والسيدة فاطمة .
وأعقبت السيدة فاطمة : السيد محيي الدين إبراهيم الأعزب , والسيد نجم الدين أحمد الأخضر (قتل : بل أعقبت علي الصحيح أيضا : " السيد إسماعيل الكيال الكبير , دفين قرية الترنبة , وأخته السيدة خديجة " .
انظر " الرشحات الحسنية " ص (198-2.4) لزاما) .

العودة الى فهرس المحتويات

وفاته رضي الله عنه :

قال العلامة ابن الجوزي في تاريخه " العبر بأخبار من عبر " :" إن سبب وفاة السيد الرفاعي أبيات أنشدت بين يديه , تواجد عند سماعها تواجدا كان سبب مرضه الذي مات فيه " .
وكان المنشد لها الشيخ عبدالغني بن نقطة , وكانت الأبيات لسيدنا الرفاعي نفسه وهي : "
إذا جن ليلي هام قلبي بذكركم أنوح كما ناح الحمام المطوق
وفوقي سحاب يمطر الهم والأسي وتحتي بحار بالجفا تتدفق

سلو أم عمرو كيف بات أسيرها تحل الأساري دونه وهو موثق
فلا هو مقتول ففي القتل راحة ولا هو ممنون عليه فيعتق
إجابة الداعي " ص (4.) , طبعة الشيخ الجليل السيد عبدالحكيم عبدالباسط ,رحمة الله تعالي).
* * * * * *
مرض سيدنا الرفاعي بداء البطن شهرا , قال خادمه الشيخ يعقوب بن كزاز :
لما مرض سيدنا الرفاعي مرض الموت , قلت له : تجلي العروس في هذه المرة ؟ قال نعم .
قلت له : لماذا ؟ قال : جرب أمور اشتريناها بالأرواح , وذلك أن البلاء أقبل علي الخلق فتحملته بما بقي من عمري , فباعني.
وكان يمرغ وجهه وشيبته علي التراب ويبكي ويقول : " العفو العفو " ويقول : " اللهم اجعلني سقف البلاء علي هؤلاء الخلق " (قال يوسف : وللدلالة علي ذلك انظر : " تنوير الأبصار " ص (18) للسيد أبي الهدي , الذي وردت فيه العبارة : " اللهم اجعلني سقف البلاء " . وبعد حديثه بالإلهام الرباني عن الوضع الاجتماعي السائد آنذاك في العراق , وقوله :
" يا أهل العراق ! ما هذا الترف ؟ ما هذا السرف ؟ سبحان من إذا ساق جيش القدر ألبسه المهابة , فكل من رآه هابه ! .
كأني أري الحديد فوق الحديد , والعلوج في الطرقات . اللهم اجعلني سقف البلاء ! " .
وقد استجاب الله تعالي له , فقد تأجل البلاء , فتوفي الإمام سنة (578 هـ) , وحصل البلاء المؤجل المعروف بفتنة التتار ببغداد سنة (656) . أي بعد وفاته ب (78) سنة) .
كان مرض سيدنا الرفاعي بالبطن , فكان يخرج منه كل يوم ما شاء الله , فبقي المرض بالسيد الرفاعي شهرا , فقيل له :
من أين يخرج هذا ولك عشرون يوما لا تأكل ولا تشرب ؟
فقال : هذا اللحم يندفع ويخرج , ولكن قد ذهب اللحم وما بقي إلا المخ (قال يوسف : أي : المادة التي في العظام . ولعل الله تعالي ابتلي السيد الرفاعي بهذا الإسهال الكثير لتنظيف معدته من فضلات الطعام , التي تكون عادة جالبة للدود في القبر بسبب تعفن الجسد , وبعدها يصير البطن والجسد نظيفا , فيكون ذلك بإذن الله تعالي سببا لأن لا يبلي جسده في قبره , ويصير محفوظا بإذن الله .
وقد ورد في الحديث الشريف : " أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء والشهداء " . وأجساد الأولياء يشملها الله تعالي الكريم بهذه الكرامة , ومنها جسد وجثمان الإمام السيد الرفاعي رضي الله تعالي عنه), اليوم يخرج وغدا نعبر علي الله تعالي .
فخرج منه شيء أبيض مرتين أو ثلاثا و انقطع .
توفي يوم الخميس وقت الظهر , ثاني عشر جمادي الأول , سنة يمان وسبعين وخمس مئة , وله من العمر (66) سنة , و (6) أشهر.
آخر كلامه :
وآخر كلامه لفظة : لا إله إلا الله , محمد رسول الله , صلي الله عليه وسلم " .
وقد أرخت وفاته بعبارة : " لله جاء يد سر الرب " .
وقال شيخ الإسلام السيد سراج الدين الرفاعي , مؤرخا ولادة سيدنا الرفاعي , ومدة عمره , ووفاته : ببيت واحد وهو :
ولادته بشري , ولله عمره وجاءته بشري الله بالقرب والزلفي
(" رموز الفقراء " ص (99)).
وكان ذلك اليوم مشهودا , وبلغ عدد المصلين عليه حوالي ربع مليون مسلم , جاؤوا من واسط والقري المجاورة لأم عبيدة (قلت : بل بلغ العدد أكثر من ذلك , جاء في " إرشاد المسلمين " ص (79) للفاروثي ما نصه :
" وثبت من طرق عديدة , أن صفوف المصلين كان أولها في أم عبيدة , وآخرها في رأس نهر قرناثا , وبينهما مسافة خمس ساعات .
وقبل وفاته بثمانية أيام انقطع أمل الناس منه , فغصت صحراء واسط بالوفود , وضربت الأخصاص حول أم عبيدة للوفود , وبلغ عدة من صلي عليه , وشهد مشهده المبارك / تسع مئة ألف من الرجال , وستة مئة ألف من النساء ذوات القناع , غير الأطفال والصبيان , وكان يوما مشهودا .
وقد رثاه الأعاظم من العلماء والأولياء والفضلاء بمراثي كثيرة , دونها جماعة " . انتهي.
قال يوسف : وقد دفن سيدنا الرفاعي في قبه جده لأمه الشيخ يحيي الأنصاري في " أم عبيدة " . ومازال

مرقده الشريف , وروضته الطاهرة عامرة تزار .
ومرقده الشريف ومزاره المبارك يقع حاليا علي بعد (3. كيلومتر) من منطقة تحمل اسم : " فضاء الرفاعي " . وهي قريبة من محافظة لواء العمارة في وسط الطريق بين البصرة وبغداد , في منطقة " واسط العراق " القديمة , التي كانت عاصمة العراق أيام الأمويين .
وقد استحدثت حوله ترعه ماء صغيرة , بعد ابتعاد نهر الفرات وانحساره عن البطائح .
اللهم أدم ديم الرضوان عليه , وأمدنا بالأسرار التي أودعتها لديه , آمين !.) .

العودة الى فهرس المحتويات

كراماته الجليلة في حياته الكريمة

حقيقة الكرامة :
قال الأستاذ السيد أبو الحسن علي الندوي :
" بالرغم من أن الكشوفات والكرامات وحدها بدون الاستقامة , لا تعد جزءا من الولاية والقبول ولا دليلها .
وقد أوضح المحققون فقالوا : الاستقامة فوق الكرامة . وهي قضية لا تقبل الجدل , ولكن الحقيقة أن الله تعالي ينعم علي كثير من عباده المخلصين بهذه النعمة , فتظهر علي أيديهم وألسنتهم وقائع تؤيد قبولهم ووجاهتهم عند الله والناس .
وقد اتفق أهل السنة علي أن كرامات الأولياء حق , وتؤيد ذلك بعض الوقائع والشواهد في الكتاب والسنة أيضا " (" رجال الفكر والدعوة " الجزء الأول) .
وقد جاء في بعض مؤلفات سيدنا الرفاعي إثات هذه الحقيقة , وتقرير هذه المسألة (وقد تكلم سيدنا الرفاعي علي حقيقة كرامة الأولياء في " البرهان المؤيد " ص (3.-31) , شرحا وبسطا , فانظره ثم) .

كرامته , وهي الاستقامة :
بعد كرامة مد اليد النبوية الشريفة له عام حجة (سنة 555 هـ) التي ذكرناها , فإن أكبر كرامات سيدنا الرفاعي في الحقيقة ,كانت استقامته علي الدين القيم , وثباته علي الشرع الشريف , وسلوكه علي طريق سلفه الصالحين من السادة بيت النبوة .
حيث ينتهي نسبه الشريف كما أسلفنا إلي الإمام الحسين بن علي , عليهما الرضوان والسلام , مرورا بجده الإمام إبراهيم المرتضي , بن الإمام موسي الكاظم , وبقية آل البيت الكرام , ومن بقي أخواله وشيوخه من الأولياء والعلماء , وجمعه بين الشريعة والطريقة أكثر من نصف قرن قولا وفعلا .
كذلك له كرامات كثيرة , اعترف بها كثير من العلماء والمؤلفين , فقد ذكر العلامة تاج الدين السبكي أنه :
" كان من السادات المشهورين , وأهل الكرامات الباهرة " (" طبقات الشافعية " 4:.4) .
وقال الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي : " أما كراماته فهي كثيرة من غير شك " .
وقال الدكتور مصطفي كمال وصفي عن كرامات سيدنا الرفاعي :
" ولا شك أن منبع كراماته – رضي الله عنه – هو شدة عطفه وشفقته علي الفقراء , وصفاء قلبه ونقاء سريرته " (" الإمام الكبير أحمد الرفعي وطريقته " ص (41)) .
كرامته المتواترة :
وها نحن نقدم من كراماته الجليلة المتواترة بعض النماذج فنقول :
إن أكبر كرامة من كراماته المتواترة / هي تقبيل يد جده الرسول الأكرم , (r), التي وقعت له عند حجه الأول سنة (555 هـ) , عندما ذهب لزيارة جده عليه أفضل الصلاة والسلام .
مداده النوري :
كان سيدنا الرفاعي إذا أراد أن يكتب رقية يكتبها بغير مداد , وإذا مر عليها زمان وجاؤوا بها إليه يقول : إنها مكتوبة .
يقول صاحب المجالس الرفاعية : " وهذه من الكرامات التي اشتهر بها " (" المجالس الرفاعية " ص (27)) .
وقال العلامة اليافعي :
" كان سيدي أحمد ابن الرفاعي إذا طلب منه أحد أن يكتب رقية ولم يكن عنده مداد , يأخذ الورقة فيكتب عليها بغير مداد .

فكتب يوما لشخص , فاخذها وغاب مدة , ولم يلبث أن جاء بها إليه ليكتب له فيها ممتحنا , فلما نظر فيها قال : أي ولدي ! هذه مكتوبة . وردها إليه من غير ضجر " (" روض الرياحين " ص (338)) .
صفة خطابه :
كان سيدنا الرفاعي يخطب في رواقه , وآلاف من المسلمين وغير المسلمين من الهيود والنصاري والصابئة : يدخلون في أم عبيدة يوميا أفواجا أفواجا .
يقول سبطه السيد شمس الدين محمد عن مجلسه :
" صعد سيدنا الرفاعي الكرسي ثالث رجب سنة (577هـ) بأم عبيدة , وكان بين سواري الرواق خمسة ألاف محدقين , وبأيديهم المحابر لكتابة ما يقول .
فلما هدأ علي كرسيه , أطرق قليلا ثم رفع رأسه المبارك , والتفت يمينا وشمالا , ثم أقبل بوجهه الطاهر علي الناس وتكلم " (" المجالس الرفاعية " المجلس السابع , ص (82)) .
وكان سيدنا الرفاعي إذا خطب وألقي الوعظ يسمعه القاصي كالداني , والأصم كالسليم .
يقول العلامة الشعراني عن صفه خطبيته :
" إذا صعد الكرسي لا يقوم قائما , وإنما يتحدث قاعدا , وكان يسمع حديثه البعيد مثل القريب , حتي إن أهل القري التي حول أم عبيدة , كانوا يجلسون علي سطوحهم يسمعون صوته , ويعرفون جميع ما يتحدث به , حتي كان الأطرش والأصم إذا حضروا يفتح الله أسماعهم لكلامه " (" الطبقات الكبري " 123:1) .
ملاذ الأقطاب والأبدال :
كان سيدنا الرفاعي قد تعدي المقامات المعهودة , وهو أحد من قهر أحواله , وملك أسراره
لم يكن له مقام معلوم في السلوك والإرشاد , ولذا كان يحضر لديه الأقطاب والأبدال , مسترشدين وملتمسين منه الدعاء .
فقد كان سيدنا الرفاعي مرجع الخلائق , وكان مصلحا كبيرا , يرشد الخلائق من الخاصة والعامة ويهيدهم إلي الصراط المستقيم , ويربيهم باللين والحكمة , ويستقبل كل من يأتي إليه بطلاقه الوجه .
لذا يكثر عدد التائبين من العامة والسوقة عنده , ويأتون من كل فج عميق . لذلك كان بابه مفتوحا للجميع .
وغن من شأن الله تبارك وتعالي أن يخص من يشاء من عباده المخلصين , بسبب قربهم منه , وكرامتهم عليه / بقبول دعائهم , واستجاب دعواتهم , فلو أقسم هذا العبد علي الله بشيء لأبره .
وكان شأن سيدنا الرفاعي كذلك , ونستطيع أن نطلع علي شيء من شأنه عند الله وحاله عنده عما حدث للفتي الهيتي (هيت قرية من قري العراق , قريبة من الفلوجة والرمادي غربي العراق) , وعما قال الشيخ السيد الجيلي عن شأن سيدنا الرفاعي مرة بعد أخري .
يقول الشيخ عبدالكريم بن محمد الرافعي , صاحب مختصر " سواد العينين " (ص (66-67) .
" حدثني الشيخ العارف أبو المعالي بدر العاقولي قال : كان من أهل هيت فتي أسرف علي نفسه كل الإسراف , وقادته أزمة الأقدار إلي الإعراض والخلاف , ثم بعد مدة وقع في قلبه الخوف والندم , فالتجأ إلي الشيوخ فردا فردا , حتي جاءإلي الشيخ عبدالقادر الجيلي رضي الله عنه , فكل أعرض عنه , والشيخ عبدالقادر ولي بوجهه المبارك عنه وقال له :
أخرج أنت من أهل الشقاوة , وسطر القطيعة مكتوب علي جبهتك والعياذ بالله !.
فخرج هائما علي وجهه , وقصد أم عبيدة , ومازال سائرا حتي دخل مجلس السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه .
فلما رآه السيد تبسم له , وأقبل عليه بالبشر , وقال له : تعال حتي أبايعك , وأكون لك حجة غدا بين يدي العزيز سبحانه إن شاء الله .
فجثا الرجل علي ركبتيه أمامه , فبايعه ومسح بيده المباركة علي جبهته , فبعد أن بايعه قال له الرجل : أي سيدي , ذهبت لمجلس أخيك الشيخ عبدالقادر فقال لي كذا , وذكر القصة , وقد تقطعت من الخوف .
فقال السيد أحمد : صدق الشيخ ! ولكن أنت الآن في أمان الله , اذهب إلي الشيخ الأجل المحتشم أخينا الشيخ عبدالقادر رضي الله عنه , وسلم عليه مني .
فذهب الرجل حتي أتي مجلس الشيخ عبدالقادر , فلما رآه الشيخ قام له , واستقبله , وقربه منه , فتعجب لذلك أصحابه ! .
فقال : لا تعجبوا ' إن الله عبدا متمكنا في مقام عبديته , يمحو اسم مريده من ديوان الأشقياء , ويكتبه في ديوان السعداء بإذن الله ! .
ألا وهو السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه " .
الأسوة الحسنة الكاملة

في سيرته الطيبة
الولي المحبوب :
وهكذا استطاع سيدنا ومولانا الإمام الحجة السيد أحمد الكبير الرفاعي : أن يعيش في الله , ولله .
ولايزال يضرب به مثلا للعبد الصالح , والولي الكامل , الذي يحب الله ورسوله , ويحبه الله تعالي ورسوله .
وهكذا استطاع أن يكون أسوة حسنة لمن عاشره , والذين يأتون من بعده إلي يوم القيامة .
لقد كان سيدنا الإمام الرفاعي وليا من أولياء الله تعالي حقا , ورجلا من رجال الإسلام , وبطلا من أبطاله , ومجاهدا بنفسه وماله في سبيل الدين , ومربيا كبيرا , ومعلما عظيما .
فكم من الناس شملهم بالتربية الحسنة , وقومهم علي الأخلاق الفاضلة , وعودهم علي خصال الخير والمعروف , ثم صاروا من كبار الأخبار والصالحين .
رحمه الله واسعة , وجزاه الله عنا وعن جميع أمه سيدنا وشفيعنا محمد صلي الله عليه وآله خير الجزاء , وأحسنه ! .
اللهم أدم ديم الرضوان عليه , وأمدنا بالأسرار التي أودعتها لديه , آمين .
النصيحة :
تمسك بمولانا الرفاعي خالصا ورح بأمان الله فالله أعطاه
جرت عادة الرحمن فيمن أحبه يغاث ولا يخزيه في الدهر مولاه
(" نور الفتوح " ص (61) , للإمام المحدث الجليل السيد محمد مهدي الصيادي الرفاعي , الشهير بالرواس , طبعة الشيخ الجليل السيد عبدالحكيم عبدالباسط , رضي الله عنهما .
(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " من سورة البقرة , الآية (127) .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين , وصلي الله علي سيدنا محمد وآله وسلم .

العودة الى فهرس المحتويات